مدينة الناصرية وفيدل كاسترو

أسم الكتاب : مدينة الناصرية وفيدل كاسترو ـ مجموعة قصصية

أسم المؤلف : نعيم عبد مهلهل

عدد الصفحات:

القياس : ١٤.٥ × ٢١.٥

١٠٠٠ / نسخة / ٢٠١٧ ـ ١٤٣٨ هجرية
الطبعة الأولى

ISBN:٧٨٩٩٣٣ ٣٥٨٠٦٦٧

جميع الحقوق محفوظة
النشر المشترك بين دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع ـ دار أور ٢٠٠٠ للنشر والتوزيع
Copyright Ninawa—Ur ٢٠٠٠

سورية ـ دمشق.ص.ب ٤٦٥٠
العراق ـ ناصرية. مكتب الأمير للترجمة

تلفاكس ٠٠٩٦٣١١٣٣١٤٥١١
هاتف ٠٠٩٦٣١١٣٣٢٦٩٨٥

E-mail:info@ninawa.org
ninawa@scs--net.org
www.ninawa.org

المكتبة الألكترونية الشاملة pdf
لنشر وترويج الكتب
يوسف الرميض

العمليات الفنية

الإخراج والطباعة القسم الفني في دار نينوى دمشق ـ مكتب حروف ـ الناصرية

لايجوز نقل أو أقتباس أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت إلا بعد إذن خطي مسبق وموافقة الناشرين والمؤلف.

نعيم عبد مهلهل

مدينة الناصرية وفيدل كاسترو

مجموعة قصصية ـ ٢٠١٧

عبد محمد (وردة الحرب و دمع العيون)

١٩٨١

سيق ناظم حبتر دواش من سكنة قطاع ١١ مدينة الثورة إلى خدمة الاحتياط كونه من مواليد ١٩٥٣، ولكن بعد أن قضى أسبوعين في سجن مديرية أمن المدينة لأنه كان جالساً في مقهى على ناصية رصيف في سوق العورة حين سمع بدعوة مواليده من المذياع فعلق على ذلك: هيأ مناتيف من كاكه برزان إلى حجي موحان.
كان أحد المخبرين حاضراً وأراد في تقريره إلى مديرية الأمن أن يعرفوا منه ما ذا يعني بالحاج موحان؟
أمام المحقق أقسم لهم بألف أمام معصوم أنه يقصد أبو زوجته الحاج موحان، وهو على خصام دائم معه، وقال أنه سيفرح حين أساق جنديا، أما كاكا برزان فانتم تعرفوه هو الملا مصطفى حيث خدمة الإلزامية جنديا في منطقة سبيلك في اربيل.
لم يصدق الضابط القصة، وأبقوه رهين الدونكيات والدفرات، وما شفع له أنه كان يجيد تقليد صوت المطرب عبد محمد ومولع بأغنيته الشهيرة (وردة اسكيتها من دمع العيون) والسجانون والموقفون كانوا يسمعونها وهو يدندن فيها آخر الليل، وهو يعزي نفسه بالقول: دونكي المفوض ريسان ولا مدافع عبادان.
بعد أسابيع أرادت المديرية أقامت حفلا فنيا بمناسبة دخول الجيش العراقي المحمرة - فأقترح ريسان على ضابط الإعلام في الدائرة أن يأتوا بالموقوف ناظم حبتر ليطربهم بصوت عبد محمد وأغنيته عن الوردة.
اشتروا له دشداشة جديدة وعقال ويشماغ وحذاء، وأعطوه فرصة ٣ ساعات ليتدرب مع فرقة موسيقية أتوا بها ثم صعد المسرح وغناها وكأنه عبد محمد بالضبط.
ضحك المدير، وسأل إن كان هذا المطرب قد جلبوه من الإذاعة والتلفزيون، فرد عليه الضابط المحقق: لا سيدي جلبناه من التوقيف، وشرح قصته للمدير
ضحك المدير: وقال يابه هذا يمكن يقصد أبو زوجته، أطلقوا سراحه.
وهكذا بفضل عبد محمد وأغنيته وردة اسكيتها من دمع العيون أطلق سراح ناظم حبتر ولكنهم لم يدعوه يذهب إلى بيته بل أخذه مأمور من مديرية الأمن إلى تجنيد الثورة الأولى ليتم سوقه لخدمة الاحتياط، فسيق إلى سرية مغاوير الفرقة الثانية التي دخلت مهران الإيرانية قبل أسبوعين
بقي ناظم في خدمته يراوح بين الدوام في سريته وبين الهروب والعودة كلما أعلن العفو، وقد أطلق عليه الجنود أبو وردة والذي أشاع بهجة صوت عبد محمد بين الجنود، ومتى يهرب كان الحنين إلى الوردة وعذوبة صوته يشمل حتى الضباط.
في آخر عفو جيء بآمر فوج من أهل الثورة يدعى المقدم رحيم صامد الساعدي، وقد أخبروه بقصة ناظم وسحر صوته وأنه أكثر المراتب هروباً وعودة، فحن عليه وعلى صوته وقرر إعادته إلى حظيرة المتروكين في مقر السرية في معسكر خالد في كركوك، وقال: مادام كل حياته أغنية عن الوردة. لنجعله متروكاً هناك يعتني بحديقة مقر السرية.
سكن الفرح قلب ناظم حبتر، وعادت إليه نشوة أغنية عبد محمد التي أحبها حتى الجنود التركمان المتروكين في مقرات وحدات الفرقة في معسكر خالد
وذات مساء كان ناظم منسجما في شدو أغنيته المفضلة وفجأة أتته في الرأس رصاصة طائشة وغير مقصودة من بندقية جندي معه في ذات السرية كان ينظفها غير بعيد عنه
عندما حملوه إلى مشفى كركوك العسكري كان قد توفى.
وقبل أن يحمل إلى النعش قفز أحد رفاقه من جنود سريته ودس بين يده وردة بيضاء.
انتبه الطبيب الذي عليه توقيع شهادة تسفيره إلى أهله وسأل الجندي لماذا فعلت ذلك؟
رد الجندي ودمعته تهطل على خده قائلا: أنها واحدة من أجمل أغانيه وأمانيه.
ثم أعطى للسائق شريط كاسيت فيه أغنية عبد محمد عن الوردة ودمع العيون وهمس له أرجوك: شغل هذا الشريط طوال الطريق، ناظم الذي في النعش فوق رأسك كان مغرم بها وعليك أن تؤنسه في الطريق الطويل إلى بيته.

الشظية وكليوباترا

(.) كليوباترا في الأول المتوسط

أيام كانت كليوباترا طالبة في الأول المتوسط في إحدى مدارس الجوادر في مدينة الثورة، كن زميلاتها من طالبات صفها يضحكن ويتهامسن وينظرن إليها بنظرات لا يعرف معناها الفطري سوى الهواجس التي جعلها تقلق من هذا الاسم، وبدا الاسم بالنسبة إليها مزعجا، حين تنادي عليها مدرسة العربية عندما تعيد دفاتر الإنشاء إلى طالباتها بعد تصحيحها، (كليوباترا فنجان مهاوش) وهي تتساءل بعيون ضاحكة ترمق خجل كليوباترا وهي تنهض وسط ابتسامات زميلاتها المخفية خلف ملامحهن البريئة وأسألتهن: لماذا اسمها لا يشبه أسمائنا؟

الأب رفض تغيير اسم ابنته، وكان يجيبها بما لا تفهمه، بقوله: أنت صورة للإليزابيت تايلور والتي أتمنى لها قيصراً يليق بها.

ترد أمها الريفية: لا أعرف ماذا تقول وتقصد، ولكنك ستدمر حياة البنت بهذا الاسم!

يرد فنجان: كيف تتذمر والناس في المقهى ينادونني باسم أبو كليوباترا ولا ينادونني بهذا الاسم البائس الذي لصقه بي والدي (فنجان) الذي هو ليس سوى آنية من خزف يقرأ فيها بها البخت وتُصبُ فيه قهوة المآتم والمقاهي.

أما كليوباترا فهو الجمال الذي يشغل العالم القديم والحديث.

ولأن كليوباترا لم تزل صبية لم تشعر بهواجس الأب إلا عندما آتت إليهم ذات يوم مشرفة اختصاص الاجتماعيات وانتبهت إلى وجه البنت وقالت باستغراب: هذه البنت تشبه الممثلة الانكليزية الليزابيث تايلور، ما اسمك يا حلوة؟

ردت البنت: كليوباترا.

ـ يا إلهي اسم على مسمى، هل تعلمين أن تايلور هي من جسدت شخصية كليوباترا أمام زوجها ريتشارد بريتون الذي لعب دور القيصر؟

قالت الصبية: أبي يقول نفس كلامك.

إذن أبوك مثقف سينما وشعر بذلك الشبه وأطلق عليك اسم كليوباترا، وحسن فعل، تخيلي الأمر، قالت المشرفة للمدرسة المنذهلة من طبيعة الحوار بين المشرفة والطالبة: ملكة مصر الساحرة الجمال عادت إلى الحياة لتعيش في مدرسة بشارع الجوادر في مدينة الثورة.

حكت المدرسة رأسها مستغربة وهي تقول مع نفسها: ربما هذه المشرفة عندها خيط مقطوع في عقلها.

نظرت المشرفة إلى ابتسامة المدرسة وعرفت إحساسها فقالت لها: ربما لم تدخلي سينما في حياتك؟

ردت المدرسة بالقول: ولن ادخل.

قالت المشرفة: لهذا أنت لا تعرفين كليوباترا وإليزابيث تايلور

أجابت المدرسة بشيء من الاستهزاء والمرح: كليوباترا أعرفها، تلك الطالبة ابنة فنجان أما اليزابيث تايلور فاعذريني لا أعرفها.

(.) كليوباترا في الجامعة

كبرت كليوباترا ودخلت الجامعة في كلية الآداب ـ انكليزي، وأصبح جمالها مضربا للأمثال، وتعجب الطلاب الذين ولدوا في مناطق زيونة والمنصور والجادرية من زملائها كيف لمدينة فقيرة مثل مدينة الثورة أن تجنب فتاة تشبه في كثير من محاسنها اليزابيث تايلور التي كانت الأقرب شبها لملامح الملكة المصرية،ولهذا تقدم لها أكثر من طالب في السنة الأخيرة من الكلية، ولكنها رضيت بطالب فقير معها في القسم من أهالي الزعفرانية اسمه قيصر، فقال الطلبة الأغنياء: شبيه الشيء منجذب إليه، وقال البعض ربما لأن اسمه قيصر إرادته كليوباترا، لكنها ردت عليهم: إن قلبها من أراد وليس اسمها

(.) قيصر جندي في الحرب

تزوجت كليوباترا من قيصر، وزُفت برتل من سيارات الفولكا القديمة من الجوادر حتى الزعفرانية، وعاشت مع قيصر سعيدة حيث تعينت هي مدرسة لغة انكليزية في إعدادية الزعفرانية للبنات، فيما ذهب قيصر ليؤدي الخدمة الإلزامية جندياً في قاطع بحيرة الأسماك في البصرة يوم بدأت الحرب مع إيران

ذات صباح بارد طرق الباب جندي برتبة نائب عريف، وخرجت له كليوباترا، وقد أخبرها بعين دامعة: أن زوجها قيصر موجود على نعش فوق السيارة وقد مزقت خاصرته شظية مدفع إيراني.

إجابته بضحكة هستيرية: لا أصدقك، أعد الجثمان إلى أهله الحقيقيين، فقيصر الذي أمتلكه والذي هو زوجي إذا أراد أن يموت فهو يموت بطعنة من خنجر بروتس في خاصرته، وليس بشظية مدفع إيراني.

إشلاء محترقة تتزوج في ساحة مظفر

يقولون أن الساحات في المدن هي نقطة التفكير بحلم الشوارع حيث تتفرع إلى جهات أربع وتمشي مع ظلال البيوت لتشكل خطاً طولياً من الأزقة والذكريات وأعمدة مصابيح الكهرباء.
أنها جدلية الأمكنة، والساحات في الغرب أكثر قدسية من الحدائق، لأن اغلبها يقترن بأسماء القديسين، ساحة بطرس في روما، وساحة ليوحنا في بروكسل وساحة للعذراء ماريا في مدريد.
الساحات في الشرق اغلب أسمائها ترتبط بقبعات الجنرالات وصولجانات الملوك ومواعيد ثورات ربيع عربي ابتدأ فينا منذ ثورة الحسين ومرورا بالقرامطة والزنج وانتهاءً بدراما قتل القذافي بطريقة بدائية.
وحتما لا تولد الأمكنة إلا مع قصة تحفز فيها النشوء، ومرات قصة باهتة أو مفردة يطلقها صاحب عربة حصان يكفي لتلتصق في المكان وتصبح تأريخاً، وبعضها غرائبياً في المسمى أن تكون يافطة طبيب سبباً في تسمية مكان تأتي إليه سيارة مفخخة وتفجره وتقتل الناس كما في ساحة مظفر التي تقع في مدينة الثورة والتي يقال أنها سُميت بهذا الاسم لان طبيب يحمل هذا الاسم فتح فيها عيادته، ونفس الاسم يأتي عريضا في مانشيت لصحيفة الواشنطن بوست حين تأتي سيارة ملغومة يقودها انتحاري وتتفجر في تلك الساحة ويقتل العشرات، وفي أكثر من انفجار يجد الطبيب الخفر في طوارئ مستشفى الثورة إن بين كل خمسة من الضحايا الذكور واحداً اسمه مظفر.
سجل تلك الملاحظة وذهب إلى مراجعه الذي يستكن إليه في صلاته ليسأله عن السبب، فأجابه: لأن الله مع الظافرين، وهؤلاء ظافرون لان أسمائهم اختارت مكاناً لارتقائهم، ينطبق على ما مكتوب في هوية الأحوال المدنية.
أم واحد من شهداء الساحة واسمها صبيحة ناطور فشاخ تولد ناحية الميمونة في اهوار ميسان أتت مع والدها ناطور فشاخ وهي بعمر ١٥ عام وتزوجت من جارها الذي أحبها، حداد الأبواب والشبابيك فريحان مزعل ريحان، وأنجبت له مظفر الذي انتهى به قدره ليفتح محل حلاقة في الساحة، وهو الآن جثة محترقة من انفجار السيارة المفخخة.
أتت الأم لتجمع أشلاء ولدها المحترق، وفي لوعة الصراخ والنحيب، التفت لتشاهد يافطة الطبيب مظفر، فصاحت في وجوه المسعفين والبشر المتجمهرين:
ـ الآن الساحة باسم ولدي مظفر فريحان
بقربها كان أب يفتش عن بقايا لجسد ابنته نديمة التي كانت تبيع ورق المناديل: جاوبها بنحيب وصوت مدمر: إن لم أجد جسد ابنتي،هي صاحبة الحق لأن تحمل اسم الساحة،لأن أشلائها بقت هنا ولم اعثر عليها، وسيظل قبرها هنا.؟
شاهد عيان هذا المشهد صحفي اسمه (قيس عبد السادة السوداني.) سجل المشهدين بين والد نديمة وأم مظفر.
حين عاد للبيت كتب ريبورتاجا عن تلك المأساة لينشره ويقدمه إلى نقابة الصحفيين للحصول على هويتها بعد أن عجز من الحصول عليها بحجة إن مواده المنشورة قليلة ولا تؤهله لنيل الهوية، وقال مع نفسه: حين انشر هذا المقال، النقيب سيمنحني الهوية
في الريبورتاج الصحفي، تخيل قيس أن مظفر فض النزاع بين أمه والرجل حول تغيير اسم الساحة قوله :
إن روح مظفر طلبت إبقاء بعضاً من أشلاءها المحترقة في الساحة، ومتى وجودوا أشلاء نديمة، عندها سيذهبان سوية إلى مقبرة وادي السلام في النجف، وفي الطريق سيطلب يدها للزواج.
هناك في الجنة سيشتريان الموبيليا، وستفصل نديمة فستان العرس عند خياطة من خياطات الجنة،وهو سيخيط له خياط الجنة الرجالي بدله موردن.
افترض الصحفي في ريبورتاجه أن الأم صبيحة وافقت على طلب ابنها، ولم تجمع الأشلاء المحترقة كلها بل أبقت أصابعه على حافة الرصيف، فحين يهدأ المكان في الساحة وتنسحب دوريات الشرطة ورجال الدفاع المدني، سوف تتحرك أصابع ولدها وتتلمس الإسفلت وتدور حول الساحة وتبحث عن أجزاء من جسد الفتاة التي يتمنى أن يذهب معها إلى الجنة كعروسين.
الساعة الثانية عشر ليلا أقفلت كل محلات ساحة مظفر أبوابها، وانقطعت السيارات من الشارع، وفجأة تحركت أصابع مظفر صوب مكان الانفجار لتبحث وبهدوء عن شيء من نديمة، فلم يجد سوى شظايا حديد حادة بدأت تجرح أصابعه المحترقة، شعر بالألم، لكنه أصر على السير والدوران حول مكان الانفجار، وفجأة شعر بدفء قطعة من جسد استقرت بين أصابعه.

تحسسها جيدا، وجدها دافئة وتمتلك نبض خافت وكأن لها قلب ونظرات، فعرف أنها قطعة من أجفان بشرية.
سأله: أنت عائد لمن أيها الجفن؟
قال الجفن: لبنت تبيع المناديل اسمها نديمة.
قالت الأصابع: وأنا أصابع مظفر الحلاق، من اقسم أن يفتش عنك ويجدك
قالت نديمة: نعم أعرفك. أنت من ينظر إليَ بإعجاب دائماً من واجهة محله كل يوم.
قالت الأصابع: ومازالت. وسأقول لك، سفرنا إلى الجنة صار مشتركا، هل تقبلين بي زوجا
قالت: اقبل ولكن على أبي أن يعرف ويوافق
قالت الأصابع: هو يعرف وقد قبل بزواجي بك سلفا
ضوء خجول هطل من جفن الفتاة وهو يقول: إذن على بركة الله
وجد الريبورتاج الذي نشره الصحفي (قيس السوداني) صداه وهو ينشره في صحيفة اسمها المواطن، ومثل قيصر منتصر حمل الجريدة إلى نقابة الصحفيين وجدد طلبه الحصول على الهوية.
بعد شهر من الانتظار جاءه الرد على شكل هامش: وحتى هذا الريبورتاج لا يكفي للحصول على الهوية.

بريمر والبرحي* خلف السدة

ـ بول بريمر يرقص الفلامنكو ـ

ليس من المنصف أن تحوّل زيارة الحاكم المدني المحتل بول بريمر الى مناطق الاهوار الى خواطر وجماليات ترسم سحر المكان والموكب الرئاسي الذي هبَ المعدان* لتحيته برفع مرادي مشاحيفهم بعد أن قال لهم مخاتير القرى ومدراء النواحي: أن هذا الرجل الأمريكي هو من سيجلب لهم الماء والسمك وطير الفلامنكو

لكن الفلامنكو لم يأت إلا عندما توسلت إليه دموع المعدان، وبريمر ذهب ليعيش في باريس، ويقال انه تزوج من عراقية، وكل صيف يذهبان الى سواحل مدن الأندلس الواقعة أمام ساحل المتوسط والأطلسي في طنجة المغربية ليتذكرا الدخان والدبابات في العراق ويرقصان الفلامنكو.

وبعيدا عن الفلامنكو الجندي أثير سويدان لهمود المتطوع في فوج المشاة الرابع لواء الخامس حدود والذي تم سحبه من منطقة حقول مجنون كإسناد للسرية الأمريكية الأولى في لواء المارينز والمكلفة بحماية رحلة بريمر الى الاهوار، وهو من سكنة قطاع ١١ في مدينة الثورة ويدرك جيداً أن أبيه وأمه كانا من ولادة مناطق الاهوار ونزحا الى بغداد حين تطوع الأب جنديا في شرطة الخيالة.

تخرج أثير من كلية الآداب وتعين عاطلا في مقاهي المدينة، ولم يجد بعد ٢٠٠٣ غير أن يكون جنديا في فوج حدود.

أثير الذي كان يراقب رحلة الحاكم المدني وكان شاهد عيان على ما يرويه الآن من قصة نخلتين برحيتين ذبحا من غير ذنب، وحين انتهى من كتابة القصة، ذهب الى صوت مطربه المفضل سلمان المنكوب ليبكي معه

في عام ٢٠٠٣ قام الحاكم المدني المحتل (رئيس جمهورية العراق ـ لعام كامل) بول بريمر بزيارة مناطق الأهوار وكان على موكبه في كل مدينة أن يمر بالمقرات الإدارية للأقضية والنواحي وكان يرسل كشافا للمكان ومعه مترجما للتهيئة للزيارة وتفحص المكان امنيا، وفي واحدة من تلك المقرات اجبر المترجم المسؤولين على قطع شجرتي نخل أمام بناية الناحية بحجة أنهما يعيقان وقوف الموكب بسيارته التي وصلت أعدادها الى مئة سيارة وعندما قال احد الموظفين القدامى: إنهما البرحيتان الوحيدتان في المدينة بين أصناف النخل وأن أبيه هو من زرعهما قبل خمسين عاماً عندما كان بستانيا في دائرة الناحية

قالوا له سلامة الحاكم المدني أهم من تاريخ أبيك والبرحي.

قفزت دمعة مستترة من الخوف في عيني ذلك الموظف وبدم بارد تم قطع النخلتين.

ـ برحية ومجنون خلف السدة ـ

لم تفارق صورة موت النخلتين وجه أثير، وحتى يعوض دمعته تلك التي أراد أن يرجم فيها وجه بريمر، راح يسأل في القطاع ١١ والقطاعات الأخرى إن كان بيت من البيوت فيه برحية حتى يشتري منهم فسيلتها ويزرعها في حديقة بيتهم الصغيرة تعويضا لما اقترفوه هناك حين قطعوهما.

سأل في المقهى

سأل أصدقائه

الجنود الذين معه في الفوج من أبناء الثورة

فلم يجد، ولكن احد الجنود أخبره ذات يوم أن خلف السدة، حيث ينثر الليل خوفه، ويتأبط التلامذة في ظهاري الصيف كتب مراجعات طفولة البكلوريا، هناك بيت تجاوز لرجل يحب العزلة وقد زرع قرب بيته الصفيح خمس نخلات يظن أن من بينهن نخلة برحي.

في الإجازة ذهب أثير الى ذلك المكان، وما استغرب له أنه على بعد عشرين مترا من بوابة بيت الصفيح كان هناك صوت آلة تسجيل تصدح بأغنية لسلمان المنكوب مطربه الشعبي المفضل، فضحك أثير وقال مع نفسه: إذن صاحب النخلات سيكون صاحبي ولن نختلف أبداً.

جلس مع الرجل الذي رفض بشدة أن يبيع أي نخلة من نخيله.

ولكن أثير راح يستعطف بالكلام العذب ليتكشف إن صاحب بيت الصفيح معلما قديما فقد حبيبته حين دهسها القطار في منطقة العلاوي عندما كانت ذاهبة مع أمها لزيارة مراقد الأئمة في كربلاء، فجن بعد موتها، وترك الدنيا والتعليم ولجأ الى سلمان المنكوب يستعيد مع منازله منازل شوقه القديم.

تساءل أثير مع نفسه سأقنعه حتما، وهو يتذكر قولا لأستاذ الفصل الصوفي في كليته قوله: أن مجانين الغرام أكثر عقلاً في التفكير في المسائل الحياتية الهامة. فهم يعودون الى رشدهم ويفسرون الأمور كما فسرها الفارابي واينشتاين والحلاج.

لذلك فكر أن يقص عليه قصة نخلات بريمر ليستميله ويؤثر عليه،

كان أثير يقص حكاية النخيل وصاحب البيت يبكي وسلمان يغني

وفي النهاية قال الرجل بصوت يملأه النحيب: يا ولدي خذ البيت هو ونخلاته واذهب.

***البرحي اسم لاجود أنواع التمور العراقية.**

***المعدان هم سكنة الاهوار التي تقع جنوب العراق وهي عبارة عن مساحات مائية شاسعة ليبني المعدان بيوتهم من القصب وسطها ويعيشون من خلال تربية الجاموس وبيع القصب.**

الموناليزا وصحن القيمر

***(آلن ديلون ـ أورنيلا موتي)**
في عام ١٩٨٦ عرضت سينما غرناطة في الباب الشرقي الفيلم الفرنسي الشهير (حب في سوان) وهي ترجمة خاطئة من المترجم رقيب الأفلام في وزارة الثقافة والإعلام العراقية حيث بقيَ الفيلم محجوزا لأكثر من ستة أشهر بحجة أننا نحتاج الآن الى أفلام تعبوية وليس الى أفلام رومانسية، والاسم الحقيقي للفيلم هو (سوان العاشق) من بطولة النجم الفرنسي الن ديلون والممثلة الايطالية المثيرة اورنيلا موتي.
وهو مأخوذ على ما أظن عن واحدٍ من أجزاء رواية الروائي الفرنسي مارسيل بروست (البحث عن الزمن الضائع) والتي وزعت في العراق بشكل كبير بجزئها الأول دون بقية الأجزاء وبترجمة وطبعة سورية.
من بين الذين حضروا الحفل، القاص(محمد روضان صبر)، وقد شغلته القراءة السحرية لمارسيل بورست وإعجابه بالسحر الميتافيزيقي لاورنيلا موتي وقد كانت من بعض ملاذات الغرام لعاطفة الشباب وبدايات كتابات القصة، وهروبا من شظايا مدافع بنجوين حين اقترب الموت منه كثيراً هناك، فكان وجه اورنيلا موتي بعض من تعويذة النجاة وقد عرف بذلك جميع أصدقاءه من مثقفي الثورة حيث صحبه لمشاهدة الفيلم ثلاثة أصدقاء من قطاعات مختلفة ولكن الرحلة المدرسية جمعتهم وكذلك قبعة الجندية.
علي فرحان شاعر سريالي، محمد دخيل فاضل رسام تشكيلي، نوري غامد عنتر، (بطال عطال) هارب من الخدمة ويشغل عامل مقهى في ساحة ٥٥
حين ابتدأ الفيلم وتساقط الهمس الفرنسي على شكل قبلات فم حارة بين ديلون وموتي ساد قاعة السينما صمت رهيب.
وبعض الأرائك دفعها الشوق والفحولة الى أن تهتز مع أفخاذ جالسيها، وحده نوري غامد اخترق الصمت الشهي وصاح:
ياالله هاي مو شفايف، هاي قيمر وخد العنبر للمعيدية سنية، أحلى نسوان ستة وستين.

***(موناليزا صحون القيمر)**
المعيدية (سنية ماهود ارشيم) تجلس من نومها مبكرا في الساعة الرابعة صباحا حيث ينتظرها ورفيقات لها سائق سيارة الفولكا موديل ١٩٧٢ السائق الكهل عبد خطار هاشم وقد أجرنه لينقلهن وبضاعتهن من القيمر والخاثر من بيوتهن في منطقة الكمالية وحتى ساحة ٥٥ في مدينة الثورة، حيث يخترن مكاناً قريباً من منطقة وقوف باص مصلحة نقل الركاب ذي الرقم ٥٥ وهو ما سميت الساحة باسمه، وأكثر زبائنهن من عمال مساطر الطين والجنود المكلفين الذاهبين فجراً الى عرضات التدريب في ثكنة التاجي، ومن بعض الزبائن عمال البلدية والكري في قناة الجيش، وبعض الشباب المبكرين للالتحاق بجامعاتهم، أما الموظفون فلا يشترون من قيمر سنية وزميلاتها، بسبب تحذير زوجاتهم لهم، وارغامهم على تناول الفطور في البيت لأنهن يشعرن أن جمال وسحر سنية التي أطلق عليها زبائنها اليوميين لقب موناليزا ساحة ٥٥، ربما يجعل الرجال فاترين إزاء شهقة الليل ودفء الأحضان على وسائد الحب.
وحدها سنية كانت تسخر من أصحاب البدلات الرسمية وربطات العنق حين يمرون وهم يرسلون نظراتهم الشهية بأطراف أجفانهم وتقول لهم: ابقوا خائفين من نسائكم. ستظلون والى الأبد في حسرة لضحكة سنية وقيمرها.

***(سنية والجنود)**
حفظت سنية أسماء كل زبائنها من الجنود، وصارت تعرف مواعيد إجازاتهم، والجبهات التي يأتون منها ويذهبون إليها، وحين يتأخر أحدهم عن صحون صباحات قيمرها وقت الالتحاق تعرف أنه لم يأت مجازا بسبب معركة ما، وحين يطيل غيابه، ما تفعله عجيباً وغريبا.
أنها تتقصى عن مكان بيته بسرية تامة، وبغرائبية لا مثيل لها، يأخذها إحساسها أن شيئا ما حدث الى ذلك الجندي الذي تعود أن يجد المزيد من الحياة في ابتسامات بنات المعدان.
وعندما تستدل على بيته، يفاجئها الجدار بلافتة سوداء تقول إنه الآن أصبح شهيداً!
ما تفعله سنية ماهود ارشيم، التي أتت من أب ولد في قرى اهوار حلفاية ميسان وهاجر وجواميسه الى منطقة الكمالية قبل عشرين عاماً حين سمع أن أهل بغداد يحبون قيمر المعدان أكثر من قيمر سدة الهندية، ما تفعله هو أنها تشتعل بلحظات من نحيب خافت ومكتوم، وبهدوء وبعيدا عن عيون المارة تضع صحنا من القيمر تحت اللافتة المعلقة على الجدار ثم تمضي بعيداً.

جنود الحظيرة ١٣٠ ملم

١

(ستالين غراد)

بدأت المدفعية الألمانية تهيأ لتقدم سريتي مدرعات بانزر المجنزرة صوب الدفاعات الثانية لمدينة ستالين غراد المحاصرة،

خلف آخر اسوار المدينة كان العريف القوقازي المدفعي حمزاتوف شاهي رحمانوف يحث الجنود على عدم التوقف في ردع مدفعية الألمان وإرغام مدافعها على السكوت حتى يكون بمقدور سرية الصد من إحراق مقدمة رتل البانزر.

ماذا كان دور حمزاتوف في هذه المهمة؟ أنه يغني فقط.

٢

(جبل لاله حمران)

جبل لا يبعد كثيرا عن حافة حوض بنجوين سوى بخمسة عشر ميلاً، البطرية الثالثة لكتيبة المدفعية المتوسطة نشرت مدفعاً جوالاً من مدافعها للمشاغلة. الغريب أن أعداد المدفع ٦ جنود جميعهم من أهل مدينة الثورة الواقعة في أطراف بغداد.

ما يجمعهم ليس المدفع ال ١٣٠ ملم الذين يشكلون حظيرته بل يجمعهم التالي،

جندي أول حسن مأخوذ عفتان ١٩٦٦ سكنة قطاع ٦ صوته عذب بغرابة ولكنه لا يجيد غناء سوى (حسين سعيدة).

العريف فرحان بجاي موهدر ١٩٥٧ قطاع ٤٤ حنجرته بها بحة غريبة ولكنه لا يقلد سوى صوت (سلمان المنكوب).

الجندي نايف دشر عبد ١٩٦٥ قطاع ٥٢ يغني بعذوبة ولكنه معجب فقط بأداء صوت (عبادي العماري).

رأس العرفاء علي داخل دخيل ١٩٥٥ قطاع ٥٥ يجيد تقليد (عبد الزهرة مناتي) بشكل جميل.

نائب العريف حنون مراود فحل ١٩٥٨ قطاع ٩ مولع بتقليد صوت (جواد وادي).

نائب ضابط بسيم مراد خلف ١٩٤٨ قطاع ٥٥ يجيد تماما تقليد (نسيم عودة)

معهم مخابر من أهل الزبير هو نائب عريف جواد كاظم حمد ١٩٦٤

جواد باع جهاز الراديو الذي معه، وبرر ذلك انه لا يحب أن يسمع من الإذاعة سوى أغاني الريح ومادام هؤلاء المطربين متوفرين من الصباح الى الليل وبالتناوب فلماذا يخسر على الراديو بطاريات فقرر بيعه.

في هجوم بنجوين في تشرين الثاني ١٩٨٣ التف الفوج الجبلي الخامس للحرس الثوري الإيراني حول جبل تاريار، وتم أسر ثلاثة جنود من حظيرة المدفع الجوال ١٣٠والمخابر كان ولم يزل مفقوداً.

الباقون اتخذوا أغرب قرار يتخذه جندي في الحرب، إنهم هربوا سوية من الجيش واتفقوا أن يكونوا خرسانا كل حياتهم حزنا على رفاقهم الذين وقعوا في الأسر، وتخلصاً من ملاحقة الانضباط، ظلوا هكذا حتى نهاية الحرب وبعدها

بعد ٢٠٠٣ عاد أصدقائهم من الأسر، لحظة العناق في لقائهم مع رفاقهم القدامى في حظيرة المدفع ١٣٠ ملم، أراد كل واحد منهم أن يعبر عن مشاعره بأغنية، تفاجئوا جميعهم أن حناجرهم قد اختفت.

طشت سوق مريدي*

(مدينة آخن وهدايا هارون الرشيد)

مدينة آخن الألمانية الواقعة على الحدود البلجيكية، كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية في عهد ملكها شارلمان، والذي أهداه هارون الرشيد الساعة الشهيرة، لكني قبل أيام وأنا أستعيد تلك القصة مع صديقي الروائي نجم والي. أخبرني بمعلومة جديدة ولم أسمعها عن تلك الحادثة أن الرشيد أرسل مع الساعة فيلاً والذي مات في الطريق بين بغداد وآخن.
وبسبب هذه الحادثة أقامت مدينتا بغداد وآخن توأمة أبدية بين بلديتي المدينتين وفسخ عقد هذه التوأمة بعد الاحتلال الأمريكي.
هدايا المدن المتبادلة في أغلبها هدايا نادرة وثمينة، لكن الغريب هو ما أهداه محافظ مدينة الحلة في عام ٢٠١٦ عندما أهدى مدينة الثورة الواقعة في مدينة بغداد أهداها (طشتاً).

(تعريف الطشت)
الطشت كما ورد في موسوعة أكسفورد لمنير بعلبكي أنه عبارة عن آنية كبيرة ودائرية من النحاس والفافون. كانت النساء العراقيات يغسلن فيه ملابس أولادهن وأزواجهن و(حضاين) الرضع. وقد وجده المنقب وعالم الآثار السير ليوناردو وولي في مقبرة أور المقدسة ضمن المقتنيات الثمينة التي صحبتها معها الى العالم الآخر الأميرة السومرية بو ـ أبي المسماة خطأً الأميرة شبعاد، وكان الطشت السومري الملكي مصنوعاً من أحجار اللازورد، كان ذلك قبل أن تكتشف شركة توشيبا غسالة الملابس الاتوماتيكية، وقبل أن ينقرض تدريجياً من بيوت العراقيين بعد تأميم النفط في واحد حزيران وتأسيس الشركة الأفريقية التجارية.

(ولادة طشت الحلة المهدى الى سوق مريدي)
طشت الخردة مصطلح جديد لم يعرفه العالم سوى في العراق وهو عبارة عن آنية من النحاس كبيرة يسمونها في العراق (طشت) ويستخدم لغسل الملابس. إلا أن طشت الخردة لا يستخدم كما عرف عن هذه الآنية بل أستخدم لتجميع أعضاء بشرية لا يعرف أصحابها، وجمعت متناثرة من مكان الذي تنفجر به السيارات المفخخة، عين طفل، ذراع شيخ، عضو ذكري لشاب، ثدي امرأة، إصبع لا يعرف جنسه وما زال فيه خاتم عرس ولكن ليس من الذهب، ضفيرة محناة، جزء من قدم يمنى، يد مقطوعة ولكنها ليست يد أبي الفضل العباس ع، أعضاء كثيرة، أنوف، ألسنة، شفاه علوية فقط، حوض لازال يرتدي لباس داخلي لطفل رضيع، كلها جمعت بهذا الطشت حين رفعت الجثث الممزقة ولم يبق إلا هذه اللقط، أنتخى أناس ما وجمعوها في طشوت. لقط ولكنها ليست أثرية رغم أن مكان اللقط البشرية والأثرية واحد حيث المقابر ولكن سعرها يختلف فاللقطة البشرية تتوسل بمحسن يدفنها بهدوء بعيداً عن جسدها الأصلي وهي تأمل أن تجتمع به في اليوم الحشر وينادى على من كان السبب ليتم الجزاء، أما اللقطة الأثرية فهي غنية جداً وحالما تعبر الحدود سيكون منزلها متحف اللوفر أو بنسلفانيا وتباع باليورو.

(طشوت تورا بورا)
تقع جبال تورا بورا في منطقة قندهار الأفغانية، وتشتهر بمغاراتها العميقة والمظلمة والتي كانت ملاذاً حصينا ومنيعاً لرجال ثوار المعارضة الأفغانية منهم جماعة أحمد مسعود وحكمت يار وعبد الرشيد دوستم وبرهان الدين رباني وغيرهم أيام حكم الشيوعي رئيس الجمهورية الأفغاني بابرال كارمال، ثم اتخذتها منظمة القاعدة الإرهابية ملاذاً لها عندما أسسها بن لادن في أفغانستان حيث سكنها وبأعداد كبيرة ما كان يطلق عليهم العرب الأفغان، ثم صارت مخابئ حصينة لقوات طالبان الإرهابية أيضاً، وقد تم قصفها بقنابل فراغية شديدة التدمير لعدة مرات، ولكن طلبان في كل مرة تعود الى تلك المغارات والكهوف الحصينة، وفيها أسست داعش التكفيرية أول خلاياها الأسيوية وفي هذه الكهوف الموحشة، وفيها قررت تصدير طشت موتها الأسود من الحلة الى سوق مريدي.
لم يفرح الملك البابلي نبوخذ نصر حين رفعت إليه استخبارات جيشه أن الطشت سيهدى الى السوق الذي يعتاش عليه فقراء مدينة الثورة، وقال بعيون دامعة: المصيبة ستنتقل من بابل الى مريدي، ولن يتغير شيء في صورة الموت وربما ذاتها الطقوس ستقام في حضرة هذا الطقس المقدس.

(٢٨فبراير ٢٠١٦)
انفجرت سيارة مفخخة بهذا التأريخ أعلاه وسط سوق مريدي، ولشدة الانفجار والضحايا تم استخدام ولأول مرة الطشت المهدى من مدينة الحلة، حيث شوهدت بائعة اللبن الخائر الحجية(خاجية عفتان ضمد) وهي تحمله على رأسها بالرغم من جرح عميق في صدرها وهي تنادي على من بقوا أحياء من أصحاب البسطيات والدكاكين: هاكم يا أولادي، لموا ما تناثر من أجساد أبناء مدينتكم.
غير بعيد كان صوت ليسوع المسيح ينادي والناس تجمع أشلاء البشر الممزقة: الإنسان بناء الله ملعون من هدمه، جمع الأعضاء البشرية لأشخاص مختلفين، حاجب تاتو رفيع لفتاة، ويد مقطوعة لمتسول فقير، وساق ترتدي حذاء كرة قدم مع كتف بكامله يرتدي قميص برشلونة ويحمل رقم ١٠ للاعب ميسي، وضفيرة لطالبة متوسطة، وثديين لامرأة في عمر السبعين، وبؤبؤ عين مبتسم عرفوا أنها نظرة لعاشقة، كتف حمال أكياس الطحين وأجزاء أخرى.
ذهبوا بها الى مكتب السيد الشهيد الصدر من أجل الإفتاء بمصيرها
بعد ربع ساعة ظهر بيان مطبوع يقول: خذوها خلف السدة وادفنوها بشكل جماعي.
كان (عبود خنيفر دواي) صاحب بسطية أدوات احتياطية لمبردة الهواء من ضمن الذين تبرعوا للذهاب لحمل الطشت ودفن مقتنياته خلف السدة ويتقدمهم شاب معمم من أجل إقامة صلاة الميت الجماعية على الأشلاء الممزقة،
لحظة ترتيب الأعضاء الممزقة في قبر حفروه من أجل تلك المصيبة، انتبه عبود غنيفر الى ورقة بيضاء ممزقة قليلا بين الأشلاء، فظنها معاملة لأحد الضحايا فسحبها، فوجدها شهادة دكتوراه مزورة معدة لواحد من السياسيين المعروفين.
صاح بين الجمع: وجدت هذه الشهادة الجامعية ممزقة بين الأشلاء ولكنها لا تستحق الدفن والصلاة عليها.

***سوق مريدي اشهر أسواق حي الثورة (صدام سابقا) في بغداد حيث يقتني منه مسؤولي الدولة العراقية الجديدة الشهادات المزورة مثل الدبلوم والماجستير والدكتوراه .حين يتفنن البعض في هذا السوق بصناعة الاختام ومواد طبع تلك الشهادات .**

أوكرانيات ساحة صباح الخياط

في الحياة قد تلاقيكَ صدفة تشبه نهاية فيلم هندي، شيء لم تتوقعه وأحياناً هذه الصدفة تجدها غريبة فلا حساب لها ولا ميقات ولا تصور أنك ستشاهد ما كنت لا تتوقع أن تشاهده في يوم ما، على اعتبار أن المقولة التي تقول: الصدفة خير من ألف ميعاد هي من يسود في الذاكرة البشرية لما نتعرض له من مصادفات في الحياة، ولهذا الميعاد الغريب أن تجد نائب عريف (فؤاد روشان مهاوش) من سكنة مدينة الثورة والذي كان معي في كتيبة مخابرة الفرقة الثانية بكركوك محاطاً باثني عشرة فتاة أوكرانية كل واحدة تسرق العقل بجمالها وهو وسطهن يرتدي ملابس مزركشة مودرن ويؤدي أغنية مدبلجة من أغنيات بضاعة هذه الأيام.

حدثت تلك المصادفة التي تشبه أسطورة مغلفة بقهقهة عالية في احد ضواحي العاصمة الأوكرانية كييف.

ولأني أعرف فؤاد جيداً فلم أخطئ وجهه الذي صبغه بشتى أنواع المساحيق بالرغم من أني فارقته منذ أعوام، إلا أنه بقيَّ بملامحه (الملحة) يمثل كما كان يقول الوجه الأقرب الى طين ضفاف هور الكحلاء حيث سلفهم القديم، ومزارع شلب الشتاء، قبل أن يمنح الزعيم عبد الكريم قاسم الى والده الجندي أول مشاة روشان مهاوش بيتاً في مدينة الثورة، ليولد فؤاد مطلع الستينات وليصبح من أشد معجبي ومقلدي المطرب الريفي صباح الخياط، واعتزازا بهذا الصوت أخبرني فؤاد أنه في نهاية الحرب سيفتح محلاً للتسجيلات وفي ساحة صباح الخياط حتى لا يفارق اسم وصوت المطرب الذي يحبه.

وعندما انتهت الحرب حقق فؤاد ما تمناه وأصبح له محلاً لبيع كاسيتات الأغاني في ساحة صباح الخياط، ولأنه كان صديقي ومن جعلني أضع صوت صباح الخياط الى قائمة مزاجي الغناني جنباً الى جنب داخل حسن ونجاة الصغيرة وأم كلثوم وناصر حكيم فقد كنت أزوره كلما أجيء لبغداد بإيفاد رسمي أو حضور المربد أو عندما أجيء مع زوجتي لتراجع طبيب النسائية فؤاد حسن غالي في عيادته الواقعة بساحة الخلاني.

وفي كل مرة يشكو لي من شحة الزبائن الإناث لا لأن واجهة محله لا تحمل سوى بوسترات صباح الخياط وسلمان المنكوب والرهط الأسطوري من مطربي الريف، وتحدث لي أن امرأة أتت إليه ذات يوم وطلبت منه أشرطة سلمان المنكوب فتعجب سر محبتها للمنكوب، فردت عليه: لأنني منكوبة مثله لقد (جسحت ثلاث) أزواج، جميعهم ماتوا، واحد في الحرب والثاني بصعقة كهربائية والثالث أعدموه لأنه لا يحب الرئيس، والرابع على مشارف الموت فقد دهسته سيارة في ساحة صباح الخياط في الوقت الذي كان المنكوب يطلق نواحه من تسجيلاتك، هو أخبرني ذلك، لقد سهى مع صوت المنكوب الذي يعشقه ودهسته السيارة، جئت الآن لأنتقم من المنكوب بشراء أغانيه، أسمعها لمرة واحدة ثم أكسرها بيد الهاون.

ضحكت وقلت: دائماً هنا شحة وفنتازيا في حياتنا وخاصة أولئك الذين يخرجون أحياء من الحروب.

الآن فؤاد يغني ويصور أغنية من أغاني هذا الزمن، أغنية بائسة في كلماتها وموسيقاها، فعرفت أن فؤاد تخلى عن عشقه لصباح الخياط وأنه باع المحل سرقفلية وبالفلوس يصور هذه الأغنية ومن ثم يضيفها في سيرته الذاتية ويذهب بها الى واحدة من ملاهي عمان أو بيروت ليقدمها لتشفع له ويصعد الى المسرح وقد أصبح صوته شائخاً ونشازاً ولكنه سيطرب السكارى والذي سرقوا متاحفنا وبنوكنا وحقول نفطنا.

تسألوني هل قدمت له نفسك له وعرفته بك؟

أقول: انسحبت بهدوء ففي الموقف الذي شاهدت فيه نائب عريف فؤاد يهز خصره بين البنات الأوكرانيات كرهت أن أسلم عليه وأعانقه مثلما كنت أفعلها يوم كنت أزوره في محلة بساحة صباح الخياط.

يوم جعلنا الورد جنكيزخان

في منغوليا حيث عاش المغول واستوطنوا في المكان منذ عصور قديمة ولم يؤرخوا تواريخها سوى بالشفاه والمخيلة ثم نهض فيهم الهاجس الامبريالي فقرر أحد خاناتهم ويدعى جنكيزخان بغزو العالم متجها صوب الصين أولاً، ثم انحدر بغزواته صوب مدن الاوزبك والأفغان والطاجيك.
ويقال أن جنكيزخان لشده انبهاره بجمال المدن فأن ردت فعله يكون قرار إحراقها، وهذا ما فعله مع واحدة من أجمل مدن العالم حينذاك وهي مدينة سمر ـ قند، وقد أفردت لهذا الحرق الذي شمل البيوت وساكنيها في فصل خاص في روايتي (جنكيزخان ـ الوردة تتكلم والعشق يكسر السيف)
المغول لم يعرفوا من الورد سوى ذلك الأقحوان البري الأحمر الذي ينبت في وديان منغوليا والذي لم يكن تجلب مسرة ولم تحرك في عواطف الشعراء شيئا لأن عمرها لا يدوم سوى أياما قليلة، وكان الخان وهو ينظر إليها لا تذكره سوى باحمرار الدم فيدوسها غير مبالٍ برقتها يوم يدلف الى خيمته البيضاء التي ضُربت له وسط أفواج جيوشه المتجحفلة لغزو العالم
أول مرة وقع نظر جنكيزخان على سلة ورد ملونة لأنواع شتى يوم أتاه وفد من المدينة الأوزبكية المنكوبة سمر ـ قند
نظر الخان الى سلة الورد وابتسم وقال: هل هي من ذهب، وأي صائغ صنعها بهذه الصورة
رد شيخ من أهالي المدينة: إنها ورود طبيعية صنعها الله يا مولاي ولن يستطيع أحد غيره صناعتها بهذا الجمال
قال الخان متباهيا: إنا الله ولكني لا أحب صناعة هذه الأشكال.أحب فقط صناعة السيوف، ارموها بعيدا أو هاتوها لأدوسها بقدمي ومع مرور الزمن استطاعت المدن الأخرى ترويض المغول وتبديل عاطفتهم مع الورد. ذلك عندما استطاع أهل بغداد تبديل مزاج أحفاد الخان من الأمراء الذين حكموا بغداد بعد هولاكو وتيمور لنك عندما جلبوا لهم الورد الجوري من بساتين الرصافة، والقرنفل والداودي من بساتين الكرخ.ورويدا رويدا استأنس الحكام المغول ليكون الورد بعض مشاهد صباحهم بالرغم أن هواجس الحرب والدم هي التي تطغي على الحياة وطقوس العيش فيها
استمر الأمر مع بني عثمان، ومع الفرس أيضا، وربما الانكليز وحدهم من اعتنوا بطقوس الورد في حفلات قناصلهم ولم يتحدث التاريخ الشرقي خلال حكم الترك والفرس أنهم كانوا يتقبلون سلال الورد في أي من مناسباتهم الوطنية والاجتماعية.
كانوا يريدون دوما هدايا الذهب والجواهر. وبقيَّ الورد في جماليته ومودته حصرا على ذائقة الناس والفقراء وقصائد الشعراء. وحتى في زمن الملكية كان حضوره الورد في البرتوكولات الرسمية قليلا، ولم يتحدث الأرشيف العراقي عن أي نثرية لشراء سلة ورد حتى تلك الأكاليل التي كانت تقدم للملك في مغادرته أو عودته للبلاد أو استقباله ضيوفه من رؤساء وملوك البلدان الأخرى.
الغريب أن نثرية الورد في السجلات الحكومية ظهرت بعد العهد الجمهوري الرابع في العراق والذي ابتدأ عام ١٩٦٨ إذا ظهر الورد وباقاته الكبيرة في الاجتماعات الرسمية والحزبية والمناسبات الوطنية وكان في بادئ الأحمر يُجلب من مشاتل أمانة العاصمة في حدائق الزوراء ثم تطور الأمر بعد تطور تقنية تهيئة الأكاليل وتزينها فوق مصاطب الاجتماعات فشكلت لجان خاصة في ديوان الرئاسة ــ التشريفات من اجل الاعتناء بهذا الأمر وشراء الورد بوصولات رسمية وتدفع ضمن موازنة الحكومة الأمر تطور بجنون بعد ٢٠٠٣ فصارت أمكنة الاجتماعات عبارة عن حديقة هائلة، والغريب أن حضور الورد لم يكن مغيرا لطبيعة المجتمعين فقد كانت مجمل الاجتماعات في ظل تطورات بلد تهدمت بنيته التحية وتسير على أرصفة شوارعه الدبابات ويتعرض لهجمات الإرهابي الزرقاوي. وحتى الحكومات المحلية أصبحت تزين طاولة اجتماعاتها بسلال وباقات ورد يصل أسعارها في بعض المرات في الاجتماع الواحد الى مليون دينار، والمحصلة أن تلك الحكومات لم تقدم لمواطنيها ما يوازي عاطفة الورد وجماله، ففي خارج قاعة الاجتماع كل أرصفة الشوارع متكسرة
وهكذا لم يستطع الورد أن يفعل شيئا على المستوى الرسمي منذ عهد جنكيزخان الى عهد بول بريمر. لا شيء يفعله ذلك الكائن المسكين المعطر والملون سوى انه يبتسم لكاميرات المصورين. وفي اليوم الثاني نراه صورة بالأسود والأبيض على صفحات الجرائد.

مدينة الناصرية وفيدل كاسترو

الأسماء التي أوغلت عشقها في قلوب أبناء الناصرية كانت اغلب أحلامها تنتمي إلى اليسار، والدليل أن أغلب العراقيين بين الفترة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ يسمون مواليدهم الجديدة من الذكور بعبد الكريم تيمناً بالزعيم الراحل عبد الكريم قاسم الذي حُسبَ على اليسار.
وفي سبعينات القرن الماضي غامر واحد من أبناء الناصرية بتسمية ولده الجديد باسم كاسترو.. وذهب إلى دائرة النفوس التي كان مكانها في منطقة الإسكان أمام تجهيزات التربية ليعمل لولده هوية الأحوال المدنية.

سأله موظف:ما اسم ولدك:قال كاسترو.
هز الموظف رأسه وقال: يبين الوالد لونه أحمر؟!
قال الأب: نعم بلون الفلفل الحار والطماطم.
قال الموظف مستهزئا: والركي أيضاً أحمر.
قال والد كاسترو: كلا مرات الركي يطلع لونه أبيض وفطير، وضحك
ظن الموظف أن الفطير تعنيه، فكتب تقريرا إلى الجهات الأمنية حول خطورة تسمية الأب لابنه باسم كاسترو

أرسلوا على الرجل عندما اخبره موظف صديق في الأمن سبب استدعاءه. فراح يرتجف ويبحث عن مبرر لتسمية هذا الاسم
فسأل المرحوم كاظم عريبي عن منفذ يخرجه من هذه الورطة، فوجد أبو أيمن الحل بقوله: سهله جدا يا أبو فلان، عندما يسألك المحقق لماذا سميت ولدك الجديد كاسترو، قل له أنا لم اسميه كاسترو بل كاستر لأن أمه توحمت بماعون كاستر وقالت: إذا جاء ولد نسميه كاستر وإذا جاءت بنت نسميها هريسة، وموظف النفوس هو من أضاف حرف الواو من جيبه.
سمع الضابط حجة الرجل، ضحك بقوة، وهز رأسه وقال: لعد هذا الموظف راد يكسر رقبتك، عد إلى بيتك وترحم على ماعون الكاستر.

سوق المغاربة في العشار عام ٢٤١٧
أغنية لاديث بياف وحسين عبد اللطيف*

فيالـه من مشـهد! الـزمن مـا بعد منتصف الليل، مظلـة مطويـة، حقيبـة سفر، سـاق آدميـة مقلوبـة داخل معطف شتوي، ورجل غامض مثل توأم يمر عابراً في أحراش روحك المقفرة، بـالله عليكم هل فيكم من سيتظاهر أمام كل هذا بالحفاظ على رباطة جأشه أو كبح جماح دهشته؟
القاص المغربي أنيس الرافعي ـ قصة جناح الأورام ـ مصحة الدمى

وأخيراً اكتشف أهل كازابلانكا بعد مرور أكثر من ألف عام، إن ربـع الجيش الـذي قـاده الامـازيغي طـارق بن زياد وعبر المحيط من طنجة إلى اسبانيا ليحتلها العرب لقرون، ربع هذا الجيش من أهالي البصرة.
كنا نسير أنا وأنيس الرافعي في شوارع كازا وسعدنا بهذا الخبر الموجود هذا اليوم فـي صـحيفة الصباح المغاربيـة، لكن أنـيس الرافعي عقب بـألم: هم بـالآلاف ولـم يكـن واحداً بينـهم اسمـه السندباد أو محمـد خضير.
ضحكت وقلت: يا أنيس، السندباد رحالة كما ابن عمك ابن بطوطـة، ومحمـد خضير قـاص، حتـى عنـدما وصلت شظايا المدافع الإيرانية إلى سياج بيته في حي الجمهورية فـي البصرة، لـم يفكر أن يمسك حتى مقبض بندقية.
ضحكنا، وكعادته المراكشية المندافة بالرمل وعطر الكرستيان ديور يردد جملتـه الدائمـة: حبيبـي محمـد خضير.
ظهيرة الأحد ٨ ماي ٢٠٠٥. أكلنا السمك أنا وأنيس في مطعم في السوق المركزي القريب من زنقة ابن بطوطة، ثم ذهبنا نشرب كأس الاحتفاء بصوت اديث بياف في مقهى كان يملكها حبيبها الملاكم الفرنسـي مارسيل سيدان، وكانا يلتقيان هنـا، وعلـى جدران الحانـة صوراً بالأسود والأبيض للمطربـة الفرنسية، يقول أنيس: انـه كلما أراد أن يستعيد سحر السيكارة التي بفمك يأتي هنا حيث يحرص مالكو المقهى على بث أغانيها كل يوم.
شربنا القهوة السوداء المرة، وهتفنـا معـا فـي صـحة فرنسـا وكـازا والبصرة، والرابـع الـذي شربنـا فـي صحته صـديقي الشـاعر البصـري حسـين عبـد اللطيـف، الـذي أخبرتـه أنـي سـوف اذهـب إلـى المغـرب، فأخبرني إن ذهبت إلى مدينة المحمدية، اذهب إلى بيت محمد بنيس، وقبل جبينه نيابة عني وقل له شكرا لكل الذي فعلته من اجل عقيل علي. الـذي أصدرت لـه توبقـال كتـابين شـعريين ولـم يحصـل منهمـا سـوى على أربع نسخ، واحد عنوانه جنائن آدم ظل في جيبه حتى لحظة موته.
أتذكر أننا، أنا وأنيس وشاعر مغربي رائع اسمه محمد الصابر ذهبنـا إلـى المحمديـة، وجلسنـا فـي مقهـى علـى البحـر تـدعى الحوريـة الزرقـاء تملكهـا سـيدة سويسـرية هـي زوجـة صـديقي الشـاعر المصـطفى الغزلاني الذي قال لي أن بيت محمد بنيس قريب من المقاهي لكننا نسينا الذهاب لبيت بنيس حيث حضر الشاعر صلاح بو سريف واحتفينا به وبخجله وشعره العميق بالرغم من قلقه على مرض زوجته.
فـي ذلـك الوقـت لـم يكـن الرافعـي قـد كتـب مصـحة الـدمى، التـي تحتفـي بهـا بعـد ثلثمائـة عـام الجمعـة الفسيولوجية لمعرفة علاقة الماضي بالحاضر والتي أسسها في منطقة العشـار درويـش مـن أهـل تطـوان أتى مع آلاف من المهاجرين المغاربة ليسكنوا البصرة بعد أن كشفت له آلات بالغة الدقـة والمصداقية أن أجدادهم كانوا بصريين وهم الجناح الأيسر لجيش طارق بن زياد، وعاشوا في مدن الأندلس ونزحوا فـي العودة الحزينـة حين طرد عبد الله الصغير من الأنـدلس وسكن اغلبهم مـدن مـراكش وفـاس ومكنـاس وطنجة والصويرة.
قرأ حفيدي منتظر إعلان الاحتفاء بمصحة أنيس وقد تم الإبراق إلى واحد من أحفاده وهو طبيب أسـنان يسكن في مـراكش، ولأنـه قـرأ فـي أوراق لـي فـي متحـف العائلـة صلتي القديمـة بـأنيس قـرر أن يحضـر الاحتفـاء بالمجموعـة القصصية، وفرصـة ليتعرف علـى حفيـد أنـيس وليقـول لـه أن جده صـديق جدي.

وأيضاً كان من بين المدعوين حفيدي حسين عبد اللطيف ومحمد خضير، وبالصدفة كان جلوس الأحفاد الأربع بكراسٍ متجاورة في القاعة المغربية في المركز الاجتماعي لمغاربة البصرة الذي يقع في ناطحة السحاب الثالثة في الشارع الوطني حيث بنيت ثلاث ناطحات سحاب في السوق الأثري الذي كانوا يسمونه سوق حنا الشيخ.
حيث أسس المغاربة لهم سوقا لبيع الجلابيات واسطوانات الموشحات الأندلسية والسمك المعلب من بحر أغادير، وعلب الزيتون، وهناك في السوق مطعم للأكلات المغربية المطبوخة بالطاجين ومخبز لبيع الخبز المدهون بالسمن البلدي وثلاث مقاهٍ تقدم الشاي الأخضر، وإحدى هذه المقاهي لا تبث من أجهزة التسجيل المتطورة سوى أغاني اديث بيافٍ وهذا ما لم يتعود أهل البصرة على سماعة، لكن أحفاد محمد خضير وحسين عبد اللطيف وحفيدي منتظر الذي لا يستغرق بالذهاب بسيارته الطائرة للوصول إلى البصرة قادما من الناصرية سوى خمس دقائق بعد أن الغي الخط السريع وتم تحويله إلى مزارع هائلة للطماطم تصدر إلى الصين وموريتانيا وتكساس.
في ذلك الاحتفال، الذي رفع فيه الكثير من زنوج البصرة لافتات احتاج أمام المركز الثقافي المغربي بالعشار، وهم يقولون أن أفارقة البصرة منذ زمن القرامطة وثورة الزنج هنا، لم يسمح لهم بتأسيس المركز الطوطمي للأدغال والشعوذة الروحية. فيما المغاربة أفارقة أيضاً وبسرعة الضوء أسسوا لهم سوقا في البصرة ومركز، وصرح احدهم لصحيفة بصرية تدعى المرفأ بقوله:هم يحتفلون بمصحة الدمى لأنيس الرافعي، فلماذا لا يسمح لنا لنحتفي بليبود سنغور.
الشرطة التي أتت بسيارات نجدة طائرة فرقت المتظاهرين وضابط المفرزة قال للزنوج: هؤلاء فتحوا لنا الأندلس، أمام أجدادكم فحين ثاروا خربوا البصرة وجعلوا أهلها عبيد عندهم.
صاح احدهم متحديا الشرطة: ليعيش سبارتكوس ولتسقط مصحة الدمى
الأحفاد الأربعة (أنا وأنيس ومحمد خضير وحسين عبد اللطيف) تساءلوا فيما بينهم، من يكون سبارتكوس؟
رجل مغاربي كهل كان يجلس ورائهم همس وقال: زنجي يبيع المخللات في طنجة.
قال حفيد أنيس: هذا جيد يا عماه، حسبته زنجي يبيع الدمى.
ضحكوا... ليصعد المحاضر الأول ليتحدث عن القصص، والغريب انه ليس مغاربي، بل هندي من كلكتا صادف انه أتى للبصرة بتجارة توابل وصادف مروره هنا.
لا ادري أين قرأ الهندي مصحة الدمى، وهي كما أعرف لم تترجم سوى إلى الاسبانية واللغة الكمبودية، ويبدو انه قرأها في العربية، حين أشار في تعقيبه وبلهجة عمانية يحسنها أهل نزوى والجبل الأخضر قوله: إن مصحة الدمى هو العالم الذي إذا أردنا إصلاحه والعودة به إلى مكان هو دراسة وهواجس الدمى وتأثيرها حتى في نظرات المجانين، وخلص إلى القول: إن أنيس الرافعي يقول لكم كما قال غاندي قبل مئات السنين: لا تجعلوا الهندي دمية فتغرز في جسده ابر الانكليز.
بالرغم أن المغاربة لم يفهموا مصحة الدمى كما فهمها الهندي، لكنهم صفقوا له كثيرا، وحفيد أنيس وقف على الكرسي وصفق بحرارة حين وعد الهندي الجميع بأنه سيترجم المصحة إلى اللغة الاوردية، ليقرأها جيدا تلك الطبقة السفلية المهمشة في المجتمع الهندي والتي يسمونها المنبوذين.
أتذكر أني سألت أنيس في واحدة من تجوالنا الليلي على المحيط في الدار البيضاء، أنه إن كان بإمكانه أن يتخيل أن واحد من أبناء عطارد، وعندما يكتشف الأرضيون أن حياة إنسانية تعيش عليه فيقمون العلاقات التجارية والثقافية بعد أن تبتكر كوكل مترجما لغويا متبادلا بين أهل الأرض وعطارد، أن يقرأ احد سكان عطارد واحدة من مجامعيه ويترجمها بلغة (الهمهمة والافئفة) وهو ما يطلقه أهل أغادير على لغة السواح العطارديون الذين يأتون في يوليو من كل عام إلى المدينة الجميلة هابطين بمركبات فضائية صغيرة بحجم سيارة البيجو التي يمتلكها محمد الصابر والتي وضعها تحت تصرفنا نجوب بها حارات كازا والمحمدية.
فأجاب انه لا يعتقد ولا يصدق هذا، ولكن باللغة الاوردية ربما.
هههه. هاهو حلمك يا أنيس يتحقق، ويتبرع تاجر توابل هندي بترجمة مصحة الدمى إلى الاوردية.
الغريب أن الهندي عندما غادر القاعة. تم رميه بالطماطم والبيض الفاسد من قبل الأفارقة الذين رفضوا إخلاء مكان احتجاجهم.

دمعة قفزت من أجفان حفيد أنيس، وتساءل: لماذا يفعل أحفاد الزنجبار والسنغال وموزنبيق هكذا بهندي يريد أن يترجم قصص جدي.
حفيدي منتظر، همس له: البوليساريو دفعوا النقود لهم ليفعلوا ذلك.
يعيش مغاربة البصرة في حي سكني ليس بعيدا عن العشار، تجمعوا تحت رأي رجل كبير يتاجر بالجلود والزيتون أتى من مدينة أصيلة، ويبدو انه كان مثقفا جيدا، واستمال ثقة أهل المدينة ومحبتهم، وهو من شجع أولئك الذين اكتشفوا أن أصولهم الأندلسية بصرية بحتة كما وزير مغربي عاش في زمن الملك الحسن الثاني واسمه إدريس البصري، وحين وصل عدد المغاربة وعوائلهم إلى ألف وكانوا جميعا يعيشون في الفنادق توجه وفدا منهم برئاسة الشيخ مواري صداح بحر ألأصيلي البصري لمقابلة محافظ المدينة، والذي قدر فيهم الوفاء إلى أصولهم وقرر منحهم أرضاً بمساحة أربعة هكتارات في منطقة البراضعية ومجاورا تماما إلى القصور الرئاسية التي بناها صدام في البصرة قبل مئات الأعوام والتي تحولت الآن إلى متحف طبيعي لأصناف السمك المستخرج من بحيرة الحرب وهو ما أطلقه البصيرون على بحيرة الأسماك التي شهدت قبل مئات السنوات حربا طاحنة بين العراق وإيران ودفن على ضفافها المئات من الجنود.
رضي المغاربة بالمكان، وقال الشيخ للمحافظ، انه مناسب لنا، نحن لدينا أيضاً رفات لجنود لم نعثر عليهم شاركوا إخوانهم العراقيين والسوريين في الدفاع عن الجولان في ذات الزمن في الحرب بين العرب واليهود.
صحح المحافظ له العبارة: يا سيدي قل بين العرب وإسرائيل، لا نريد حربا بين الديانات، يكفينا تلك الآلات التي تريد أن تنسينا إن الله فوق رؤوسنا
اعتذر الشيخ، وعاد ليصحح العبارة.
بنى المغاربة حيهم في هذا المكان، والفه البصريون، ولكن حركتهم وتواجدهم الأهم كان في السوق.
بعيدا عن السوق أشتاق لأعود إلى وجه حسين عبد اللطيف، وأتخيل تلك المقهى التي يحب الجلوس بها في سوق الهنود، وافترض انه الآن موجود، وحتما سيأنس بالقاص المغربي ومجموعته، فهو يحب التعرف عن أناس رأوا محمد شكري وتعلموا منه.
غير إني فقط انتبهت الآن إلى تلك النبوءات المسكونة في حزن تلك الملامح البصرية السمراء لذلك الشاعر الطيب الذي ارتدى من ريلكه الألماني الكثير، وكانت الكثير من قصائده تتقدمها مقاطعا من شعر ريلكة، وقد سكنه القليل من العوز والكثير من الأحلام حتى عندما أعطته الحياة الفرصة أن يسافر إلى باريس ويسير في ذات الطريق الذي كتب فيه ماركيز قصته الجميلة (آثار دمك على الثلج).
وكانت من بعض أمانيه أن يزور طنجة ليتعرف على شكري، وربما طرح مشروع السفر المشترك مع صديق عمره القاص محمد خضير، لكن أبي مناف لا يحب السفر ولم يسافر بحياته ابعد من خارطة العراق، سوى مرة واحدة ذهب إلى أبو ظبي لاستلام جائزة العويس ومرة أخرى وجدته معنا في ملتقى ثقافي في الكويت حين قرر الثري الكويتي والشاعر البابطين دعوتنا للقاء ثقافي بغية كسر رتابة الغزو والانفعال والتوتر والتوجس الذي صنعه غزو صدام للكويت.

---

*حسين عبد اللطيف شاعر عراقي مشهور من أهالي البصرة فاز كتابه الشعري (نار القطرب) كأفضل كتاب شعري صدر في العراق عام ١٩٩٥.

عطرٌ آخرَ لأسم الوردة

***امبرتو ايكو في أسم الوردة**

(كانت الوردة اسماً، ونحن لا نمسك إلا الأسماء) تلك العبارة هي آخر جملة في رواية اسم الوردة للإيطالي الشهير امبرتو ايكو. وكانت من بين الكتب المستنسخة التي اشتريتها من مبدع عراقي مهم في تسعينيات القرن الماضي، دفعه طحين الحصة التموينية المغلوط بنسبة كبيرة من النخالة ونوى التمر ليبيع الكتب في جمعة المتنبي.

قال يا صديقي: إذا أنت راجع إلى الناصرية، فلا تقرأها في الطريق لأنها مع (ركلة) الباص الريم ستسبب لك صداعاً لن تشفى منه كل حياتك، لأنك ستقع ضحية البحث عن جريمة الماضي الذي قادنا إلى هذا الحاضر الذي لا أستطيع فيه أنا الموظف وزوجتي الموظفة أن نعيش كبشر، واليوم الجوع هو السلطة العليا في خواطرنا الخفية، وحتما لا يحب أن تتطوع ضده لتكون محققاً وراهباً في نفس الوقت، والدليل (قالها هامسا): قبل أسبوع تم اغتيال السيد محمد صادق الصدر هو وأبناؤه في طريق عودته من صلاته الأسبوعية في جامع الكوفة.

حملت الرواية المستنسخة وأنا أرتعب من فكرة أن يكون ما في داخلها له علاقة باغتيال آية من آيات الله، يومها امتلكتني الرغبة والفضول الشديدين لقراءة الرواية حتى وأنا أمشي في ساحة الميدان حيث مقرر أن التقيَّ بصديق حميمٍ من أهالي مدينة الثورة قطاع ٩ ويدعى حسين حنطاوي وقد خدمنا سوية في نفس الوحدة العسكرية لثماني سنوات، وكنا كلما نزلنا سوية في إجازة دورية حيث يصادف وصولنا إلى بغداد في منتصف الليل، أما أن ينام معي في حديقة في كراج النهضة في انتظار بدء حركة باصات الريم الذاهبة إلى الناصرية أو اذهب معه إلى بيتهم أنام في غرفة الضيوف إلى الصباح ثم اذهب إلى مدينتي

جاء حسين، واخبرني أن والدته تشتاق لرؤيتي، وأن عليَّ أن اذهب معهم إلى بيتهم حتى لو للساعتين وسوف يوصلني مثل أيام العسكرية إلى النهضة

قلت: سأثقل عليك يا حسين لو طلبت منك أن تضيفني حتى صباح الغد شرط أن تتركني وحدي في غرفة الضيوف.

ضحك وقال: هل أنت مطلوب نذر لتصلي التراويح إلى الصباح

ضحكت وقلت: كلا بل لأكمل قراءة رواية.

ضحك وقال: بالرغم من أنه طلب غريب، ولكني أوافق شرط أن تجلس مع أمي نصف ساعة فهي تعتبرك مثل ولدها وأنت الذي نزلت بي جريحاً وحملتني على أكتافك طوال أكثر من ميلين نزولاً من الربيئة فوق جبل كردمند وحتى وحدة الميدان الطبية ولولاك لنشف دمي ومت.

***قبو كنيسة في بيت أصلهُ من قلعة صالح**

تركوني في غرفة الضيوف، أطفأت التلفزيون بالرغم من أن القناة الأولى بدأت بسهرة مبكرة لأغاني وردة التي لحنها لها بليغ حمدي قبل موته.

غادرت السيدة العجوز وهي تقول معاتبة ولدها: شني يمه نص ساعة بس اجلس مع أخيك هي مواجهة سجن لو زيارة مريض.

ضحكنا، وقلت لها: هذا حكم القوي امبرتو ايكو علينا يا أمي،

همست غاضبة بتلك العبارة السومرية القديمة التي توارثتها من أجدادها سكنة مدينة قلعة صالح: أو فلك طره هذا المدهور ايكو.

وتفسيرها الفصيح هو (لو أن الموت قسمه نصفين وتخلصنا منه)

ومثل قبو في كنيسة كاثوليكية تخيلت غرفة الضيوف في بيت صديقي، ورحت أضع الحلول والتفسيرات لما يحدث وسيحدث في الدير، وأنا أتذكر كلمات الصديق الأديب بائع الكتب في شارع المتنبي: إننا نتاج جريمة الماضي وعلى كل واحد منا يقتني هذه الرواية أن يتطوع ليكون محققاً وراهباً في نفس الوقت

أعرف أن هاتين الصفتان يصبح الجمع بينهما مستحيلا في بلاد حتى صاحبات محلات الحلاقة صرن فيها مفوضات امن، وبالرغم هذا قررت أن العب في حياتي الوظيفية شيئا مما كان يلعبه الراهب وليم في الرواية

أنهيت الرواية في الرابعة فجرا

في التاسعة نهضت مثقلا بالنعاس.. تناولت فطوري على عجل وسط ملامح زعل واضح على وجه أم حسين الذي ذهب إلى عمله دون أن يوقظني

صعدت للريم عائدا إلى مدينة الناصرية، وفي سيطرة مدينة الكوت صعد جندي ليفتش الحقائب في تصرف نادر لأكتشف أني نسيت الرواية في غرفة الضيوف في بيت صديقي الذي كنت ضيفه البارحة.

الذي حدث بعد ذلك أنَ حسين احتفظ بها لحين زيارتي الأخرى إلى بغداد، وقد قرأها لأكثر من ثلاث مرات ويبدو أن أحداثها تلبسته، فأخذ دور وليم في دائرته قبل أن أمثله أنا.

وفي النهاية بسبب كشفه لعمليات سرقة من قبل مدير حسابات دائرته وبعض الموظفين... تعرض حسين حنطاوي إلى طعنات قاتلة متعددة بسكين من قبل أشخاص ملثمون في بداية الزقاق المؤدي إلى بيتهم وقد كان عائداً من المقهى وقد تأبط رواية اسم الوردة وقد استعادها من صديق كان قد أعارها له، وقد غطاها الدم بضوء قاتم وحزين مختلط بدموع أم حسين التي لا تعرف تماما أني كنت سببا في اغتيال ولدها.

صحون القيمر الطائرة

شاعَ في السبعينيات خبر نزول الصحون الطائرة من كواكب بعيدة يعتقد أنها تحمل بشراً يعيشون في كواكب غير كوكب الأرض، وكان أغلب هذه الأخبار تنقل أخباراً عن نزولها في مناطق بأمريكا وروسيا، وقتها كان الهاجس جديد علينا بالرغم أن معلم التأريخ قال: إن هذه الصحون ليست سوى فبركة في معادلة القط والفأر بين أمريكا والاتحاد السوفيتي وأعلام الحرب الباردة، ولو كان حقا هناك صحون طائرة لنزلت أولاً هنا في الاهوار على أساس أن بعض النظريات تقول أن السومريين وهم من سكن الأهوار وضفافها والذين بنوا حضارتهم العظيمة بأنهم ربما أقوام أتت من كوكب في المنظومة الأرضية وهو كوكب المريخ وسكنت هنا وبنت حضارة يعتقد علماء الآثار أن مستوى تفكيرها العقلي والذهني والعلمي ليس بمستوى التفكير الحضاري في ذلك الوقت، فلو كانت هناك صحون وعليها بشر لجاءوا يزورون أجدادهم وليس ليذهبوا إلى أناس لا يعرفونهم في أمريكا وروسيا.
الصور المتخيلة والتي يزعم بعض البشر أنهم شاهدوها تقارب تماماً في الشبه مواعين الفافون التي يضعون فيها القيمر أو الذي تأخذه النساء إلى المدينة لتبيعه.
ظلت دورة (الصحن الفضائي) وصحن قيمر المعدان يلفان على أوراقي شيئا من حنين الذكريات وتلك الأماني التي تسكن معلم طيب في مدرستنا حين يجيء لنا شغاتي بصحن القيمر فيتأمله ويناجيه كمن يناجي حبيبته ويقول: يا صحن القيمر ليتكَ صحن آتٍ من المريخ، لتحملي حتى أرى باريس.
نضحك ويقول أحدنا من الذين يعشقون باريس أيضاً ويقول: نصل ولكن عندما يزرعوا البطيخ على المريخ.
وحتى اليوم لم يستطع الإنسان أن يزرع وردة على سطح أي كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية، لكن هذا المعلم بعد أن يأس من تحول صحون القيمر إلى صحون طائرة وأنها سوف لن تنقله إلى العاصمة الفرنسية، خدعنا بطيب نية وعمل سلفه وكان الأول في استلامها وسافر بثمنها إلى باريس ولم يَعُد بعد ذلك
ولكنه وبعد سنوات حرص على إرسال المبلغ كاملا ليعاد توزيعه على المساهمين في السلفة.
بين صحن القيمر والصحن الطائر دورة حنين لخيالنا يوم بدأنا نشعر بأن الكتابة هنا في عزلة الماء والقصب تمنحنا القدرة على صنع رواق طويل لممشى كلماتنا حد الذي جعلنا نشعر أن المتصوفة كانوا قبل روائي الخيال العلمي في تهيئة صورة الشيء الذي يركبوه ليصلوا إلى الأمكنة الأبعد للقاء من يعتقدون أنه يصنع دهشته في المكان البعيد من السماء، ولكنهم جعلوا جببهم صحوناً طائرة تذهب إلى تلك الأمكنة السماوية ليصيروا سفراء الأرض إلى الكواكب الأخرى قبل أن تنتظر الأرض سفراء الكواكب الأخرى.
اليوم قلَّ الحديث عن هذه الصحون الطائرة، وربما أصبحت قناعة ذلك المعلم الذي حولَ دنانير السلفة إلى صحن طائر وسافر بها إلى باريس، تكون راسخة إذ لا صحون طائرة آتية من عطارد أو زحل أو المريخ أو درب التبانة، وأن أحلام صحون القيمر وحدها من توصلنا إلى ما نريد ولولاها لما كان هو الآن يعيد حفظ قصيدة غيوم ابولنيير (السين يمرُ من تحت جسر ميرابو).

سيرفانتس الذي سرق جلجامش

مكرراً كلمات صاحب عشبة الخلود
وانطرح بثقلي محاولاً تقبيل شراشف السرير
العصفور تذكارٌ قديم لليلةٍ مرت
الشاعر العراقي عبد الهادي سعدون

قصيدة الشاعر عبد الهادي سعدون والمقيم الآن في بلاد سرفانتس (اسبانيا) كانت جهة التفكير بكيفية التعامل مع الزمن كتذكار ومن خلال ثقافة وهيئة وخصوصية طائر صغير الظل، ومنذ عهد آدم يؤرشف خواطرنا الغرامية وينتج لنا أماني الحرية والذهب إلى نقطة ما في الفضاء الذي فوق رؤوسنا وكما ملك أوروك جلجامش، يحاول الشرشف والطائر أن ينجحا في سباق الوجود بين الحلم البشري والاختراع الالكتروني، وأظن ورداً على قصيدة صديقي عبد الهادي، إن الأمر سيكون كارثياً عندما يفكر العالم بعد مئةِ عامٍ بصناعة شرشف الكتروني لنوم البشر، ومنهم جلجامش، الذي سيتخلى حتماً عن حلمه بنيل عشبة الخلود. ويفكر بشكل الإغفاءة التي ألهته عن جلب العشب، فأن كانت ممتعة كتلك التي غفى فيها فوق العشب البارد، سيترك التفكير بالحياة كديمومة وسيجعلها شرشفاً قدرياً نغفو عليه فأن أتى الصباح ونحن نتنفس فأهلاً وسهلا، وأن لم يأت، فما ينتظرنا ربما سيفتح لنا بوابات الكترونية ويدعونا لندخل إلى الجلوس في بهو الحساب، فمن له، سيدلف من قبو الورد إلى متعة كل شيء، ومن عليه، فسيبقى مثل فقراء قضاء عفك، كلما مر ملك أو وزير على ديارهم رموه بخواطر الركاع.
في عام ٢٣١٧ ميلادية. انتشرت ظاهرة ركوب الحصان الحديدي، وهو حصان صنعته شركة تيوتا الياباني بعد الكساد الاممي في مشتريات سياراتها عندما لم يعد البشر يحتاجون إليها حين طورت شركة باتا حذاءً ميكانيكيا يمكن السير به على الأرصفة والشوارع بسرعة ١٠٠ كم في الساعة.
الغريب أن الحصان أسمته شركة تيوتا (سرفانتس) والحذاء أسمته شركة باتا (جلجامش).
أعترض المندوب الأمريكي في هيئة الأمم المتحدة، على اسم الحذاء ولم يعترض على اسم الحصان، وطالب أن يكون اسم الحذاء (مادونا) وبرر بذلك أن المطربة الأمريكية التي عاشت قبل ثلثمئة عام ستفرح وهي بقبرها حين تصبح خطوات الناس سريعة جداً وهم يستمعون إلى أغانيها.
المندوب الإيراني اعترض بقوله: إن عمر الخيام المتوفي قبل سنوات لا يعرفها هو، سوف يحزن، حين لا تفكر الناس في سيرها بحشمة الجواري الفاتنات وهن يضربن على العود شهية خطوات الشاه في ذهابه إلى محاربة الروم الكافرين، أو الترك المتجبرين.
في النهاية، حسمت ذكرى الملاكم محمد علي كلاي النقاش بين المندوبين من خلال عراك بالشتائم والسباب واللكم، والاتفاق على أن الحصان لسرفانتس والحذاء لجلجامش.
وحين فضّ الاجتماع ونقل عبر شاشات التلفاز المعلقة حتى في خيام بدو التتار في صحراء منغوليا انتشرت كما الوباء ظاهرة تسمية السلع والأشياء بمسميات لشخوص كانت تعيش في عصر شورت السباحة والجوراب وإبريق الشاي، مصر صنعت علكة أسمتها علكة فيفي عبدو، والبرازيل صنعت باروكة شعر أسمتها باروكة بيليه، وفرنسا صنعت عطراً يثير الشهوة الجنسية أسمته نهود برجيت باردو، والصين ابتكرت سيكارة بحجم الإبهام أسمتها أجفان ما وتسي تونغ.
أما الصومال فأنها أنتجت موزا معدلاً وراثياً أسمته العضو الذكري للقرصان، وهو ما صار يباع أكثر من حصان سرفانتس وحذاء جلجامش وأكثر زبائنه العازبات ورائدات الفضاء.
فقيهٌ من أهل حضرموت صار يضحك أكثر من نصف ساعة وبصوت عالٍ أنسى كل الحاضرين رغبتهم بالسماع للنصيحة والمعلومة والتفسير، وكلما يتوقف يقول: اللهم أسألك الدعاء لأبناء أمتي وجلدتي، فالذي حلل لكن الحبة الزرقاء الفياجرا، عليه أن يحلل لإناثكم من رائدات الفضاء والعازبات ما تصدره الصومال إلينا، السبب: أن الموز قرصانا، وما يهزم أمريكا إلا القرصان
رجوعاً إلى حصان سرفانتس وقبل ال٣٠٠ عام، أعطتني هبة المنفى الرغبة للذهاب إلى غرناطة، واشبيليه وملقا وقرطبة وطليطله، أنها مدن للحيف والتمني وما ضاع كما يقول لنا مدرس التأريخ.
وخرجت من هذا التجوال بما أنتجه لنا زرياب من لحن حزين وما تصدح فيه قيثارات الغجر وقصائد عمنا اليساري لوركا، وفي النهاية استغرب أن شركة مثل باتا تختار لها فرعاً كبيراً، قرية صغيرة في ريف ملقا لتبيع

آخر مبتكراتها من الصنادل وأسمته (صندل بيكاسو) ليس لأن بيكاسو ولد في ملقا وأنه عندما رسم لوحته الشهيرة الجورنيكا كان يرتدي صندلاً كما ظهر في صورة فوتوغرافية، بل لأن المكان معفيٌ من الضرائب.
علوش موحان فشخاخ التميمي، قذف الحكومة بألف طن من الشتائم، لأن بضاعته من البيض الإيراني الذي استورده في منتصف تموز ليبيعه في مدينة السماوة القريبة من مملكة أوروك وجلجامش وفسد في الطريق، لكن هيئة كمارك القوى المهيمنة على منفذ الشلامجة أخذت منه ثلاثة أضعاف مما اشترى به الشاحنة الفاسدة كضريبة، نصفها لترميم شقق في بيروت وعمان، والنصف الآخر لأمور لم تحدد بعد.
ضريبة بيكاسو، وضريبة البيض الفاسد، هي جمع ميتافيزيقي وخيالي ومستقبلي بين حصان سرفانتس، وحذاء جلجامش، الذي رفعه علوش موحان في وجه مسلح في بوابة الكمرك وهدده بالفصل العشائري إن هو تجرأ وسحب أقسام بندقيته الكلاشنكوف المرقمة (٨٨٨٢١٢٣٦٧٨) والتي صدرها ليونيد برجنيف لصدام عام ١٩٧٩ ليحتل بها المحمرة بعد عام، وذات البندقية سُرقت بعد ٢٠٠٣ من مشاجب حامية التاجي العسكرية بضواحي بغداد في موجة السلب والنهب المعروفة.
ذهبت عن عصفور عبد الهادي سعدون وشرشفه بعيداً، وعليَّ أن أعود إلى وسائد فندق بثينة الذي يعطي خصماً جيداً لنزلائهِ العرب والواقع في الحي الشرقي في مدينة غرناطة والذي حرص فيه صاحبه السيد مفتاح شكري بن حاج الطنجاوي أن يطرز على شراشف السرير ووسائده وبخيوط الكلبدون الذهبي عبارة: بثينة تقول لجميل: نوما هادئاً يا حبيبي.
ضحكت وقلت له: أنا وحدي بدون بثينة.
ضحك وقال: في المدينة يبيعون كتباً شعرية للوركاء، اشتر واحداً، وخذه معك إلى السرير، فمتعة قراءته ستهبكَ حنان ودفء ألف غجرية.
قلت لا أريد غجرية، كي لا أكون مثل مسؤول سابق اسمه علي حسن المجيد، وبسبب عشقه للغجريات والسهر معهن، صرنا نحن العراقيون نكره تلك الليالي الأسطورية التي نحلم بها مع ربابات الكاولية، وشدو بنات الريم.
قال: يا صاحبي بنات الريم هذه قرية تقع في الطريق الجبلي بين تطوان وطنجة
قلت أعرفها: وربما هي ذاتها من كان يقضي فيها محمد شكري أياماً ليكتب روايته الخبز الحافي.
رد علي بإلحاح قائلا: لا يا صديقي سي شكري كتب روايته تلك في شقته في شارع تولستوي بطنجة.
خرجت مأخوذاً بنصيحة صاحب الفندق الطنجاوي لأبحث عن ديوان لوركا، وفي الطريق تذكرت بلادتي، فكل دواوين لوركا هنا ستكون مطبوعة بالإسبانية وأنا من أي لغة عدا العربية لا أحفظ سوى هذه العبارة الانكليزية التي حفظتها على ظهر قلب كما سورة الكوثر والقائلة (ذي سز ذه اسبون) أي هذه ملعقة
عدت إلى الفندق وأنا أقول لسي مفتاح: يا رجل حتماً كل دواوين لوركا هنا بالإسبانية.
ضحك وقال: وستجدها بالعربية عند مكتبة أبو رضا المراكشي في سوق المغاربة.
فرحت أني أجد لوركا الشهيد بما أتمنى وأريد، وحين وصلت إلى حانوت المكتبي المراكشي، حتى دون أن أتفوه بكلمة نظر إلي بعيون حزينة وهو يقول: أيها الرشيدي كتب لوركا نفدت.
قلت: ولكن الرشيدي ليس لقبي؟
قال: أعني انك من بلاد هارون الرشيد.
قلت: ولماذا لم تقل من بلاد موسى الكاظم مثلا؟
قال: نحن نتبع الخليفة، لأنه خلفَ الراشدين.
قلت: وأبي يتبع الإمام، لأن في ثوبه مطرزة دمعة الحسين.
ضحك وقال: جارتي اسمها فاطمة، زوجها ذهب لجنوب لبنان ليقاتل اليهود و قتل هناك. فاطمة أم الحسين، لن نختلف يا أيها الكاظمي.
قلت أتمنى أن تقول العراقي أسلم لنا الاثنين.
قال: إذن نحن أصحاب، سأعطيك ما يعوضك عن لوركا، ولكن لن تجد الغجر فيه، هذا عدد من مجلة كانت تطبع عندكم واسمها آفاق عربية وفيها ملف عن شاعر سيُمتع ليلكَ كثيراً، اسمه الكسندر بثينته.
قلت: أعرفه وسبق وأن اقتنيت هذا العدد من المجلة يوم حصل بثينته على جائزة لوركا.
قال: إذن خذه إلى متعة الذكرى، فهو سيعوض سحر الغجريات، وبدون ثمن
عدت لأجد سي مفتاح عند باب الفندق وهو يهتف: بثينته تعويضاً رائعاً عن لوركا، لقد حصلت على متعة ليل لطيفة فيما لم يحصل دون كيشوت سوى على وعود الهواء في الشبك.
قلت: وما دخل سرفانتس بما أبحث عنه وأريده؟
هنا يا صديقي عندما لا تحصل على ما تتمنى، عزاء لك أركب حصان سرفانتس.
قلت: لقد تعودت دوماً أن أرتدي حذاء جلجامش حين أسعى لشيء.

قال: وحتى مع جلجامش لم تحصل على كتاب لوركا.
ضحكت وقلت: حصلت على شاعر ربما هو خلّ للوركا كما انكيدو لجلجامش؟
ضحك وقال: هذه أمور يحسن تفسيرها أبو رضا المراكشي، أما أنا فقد هيأت لك شرشفاً من الستن الأبيض ووسادة من القديفة الزرقاء وحلماً أنت من يختاره
في تلك الليلة حين وضعت رأسي على وسادة القديفة الزرقاء، أتت فكرة الجمع بين أحلام سرفانتس في دون كيشوت وبين أحلام جلجامش في البحث عن الخلود، وتخيلت أن سرفانتس سرق فكرة الأسطورة السومرية من دون وعي، وبتبادر الخواطر ربما، وليس كما دانتي في استنساخه لهواجس أبي العلاء المعري حول الآخرة وتفاصيل قدرها المرسوم لعموم البشر حتى أولئك الذين يتمتعون الآن بمراعي ريف ناحية كميت الميسانية وهم يركبون الجياد الالكترونية التي صنعتها شركة تويوتا بعد ما كان أجدادهم القدماء يركبون وبمتعة سيارات الدوج الخشبية ثم تطورت بفضل تأميم النفط إلى سيارات الكوستر والتاتا، وتطورت أكثر بمنحة وهبة من دونالد رامسفيلد لتكون سيارات من نوع المونيكا والجكسارة وتلك التي كانوا يسمونها أوباما.
في تلك الليلة لم تعد منغاة جميل لبثينة هي من تمهد لحلم العصافير، بل أن شاعرا ارتدى قلادة نوبل هو قريب من موسيقى وإيقاع اسم العاشقة البدوية واسمه بثينته من سكن ذهن الرؤيا،وحاول جاهدا أن يبعد جدلية ما اقتنع به انه ربما ليس توارد خواطر أن يأخذ سرفانتس الكثير من إرهاصات ملك أوروك في البحث وتخيل الوهم، وكلا الفارسين جلجامش ودون كيشوت ركبا الجهة الخطأ، فجلجامش يصارع الحقيقة الحياتية الثابتة والمسماة الموت.وسرفانتس يصارع طواحين الهواء،والاثنان سيخسران،فالموت سيأتي والطواحين ستبقى دائرة
أقرأ الاسكندر بثينته، وأمام مرآى النظر أرى العصور التي تتقادم مع متغيرات الطاقة ولإلكترونيك ووسائل الاتصال،فتلفت انتباهي إلى معلومة في الواشنطن بوست الالكترونية بعد أن اختفت كل الجرائد الورقية حتى في مدن السنغال وتاهيتي والمشخاب، الخبر الذي يقول أن جامعة هارفارد أجرت استبيانا شمل ٨٠ بلدا من سبعة قارات لتكتشف أن من بين كل ثلاثين مليون إنسان واحد تمنى في بداية شبابه أو في صباه أن يكون شاعرا..لهذا وبسبب ندرة الشعر احد المواقع الالكترونية لواحدة من الصحف يعطي مكافأة مقدارها ١٠٠٠٠ يورو لقصيدة بخمس عبارات يشعر رئيس التحرير أنها كتبت من قبل قلب بشري وليس قلب ريبورت آلي، كالذي صنعته توشيبا في عام ٢١٨٠ ميلادية وعلمته كيف يكتب رواية وفي نهايتها ينتحر البطل على طريقة الساموراي
أقف عند رؤاه في كتابه الشعري الذي ترجمه لنا ذات يوم عبد الهادي سعدون، وأحاول أن أقارنها بالمختارات التي نشرتها مجلة آفاق عربية لهذا الشاعر الساكن في عزلته كما فعلت الشاعرة الروسية اخماتوفا، لكنهم تركوا اخماتوفا ومنحو بثينته نوبل نكاية بستالين الذي كان يكرهها كثيرا.
فأستل مقطعا من رئة بثينته يقول: هكذا الخلود يستمر لدقيقة.
الزمن يدٌ شديدة وحسب
ترقد فوق الشعرَ الطويل آه هكذا في هذه الهوة،
صمتٌ أو رطوبة تحت الطبقات السبع لسماء زرقاء أجهلها
اسأل تطريز الوسادة الذي تحت رأسي والذي يحمل خاطرة جميل لبثينة إن كان بثينته يتحدث عن خلود جلجامش، وأتمنى أن يكون معي تلفون عبد الهادي سعدون لأسأله، لكنني بدلاً عن ذلك وصلت إلى قناعة اكتسبتها من نقاشي مع الشيخ المكتبي رضا المراكشي أن بثينته قد لا يعرف جلجامش ولم يترجم عنه شيئا في زمنه، وعندما تُرجم فهو كان عن طريق العلامة ألآثاري طه باقر ونشره في مجلة سومر في ستينيات القرن العشرين، وكان بثينته يعيش عزلته ومجلة سومر توزع في حدود جغرافية العراق فقط، وبدلا عن ذلك أجد أن هناك ضرورة قصوى تدفعني لأكتب إلى عبد الهادي أو أهاتفه حيث يظهر أمامي خبر في تايتل التلفاز ورأسي على وسادة القديفة الزرقاء، وهو ما جعلني أنسى رغبة الربط بين بثينته وبثينة أو بين سرفانتس أو جلجامش والخبر يقول: أن بابا الفاتيكان أقام اليوم قداساً للمسامحة في باحة مزار السيدة فاطمة في مدينة لشبونة البرتغالية.
كتبت رسالة الكترونية إلى عبد الهادي وأنا أسأله في لحظة تعجب أن يكون للسيدة فاطمة الزهراء مزاراً في لشبونة ربما هو مكان ارتبط بسيدة مقدسة أو كاهنة ولها مكرمات أتت لاجئة من الشرق العربي، أو واحدة ادعت أيام الأندلس إنها علوية ومن نسل فاطمة، وأن البابا اختار هذا المكان للتقريب بين الديانات، وهو الذي كان يدعو دوماً من اجل أن تكون المسيحية جارة ودودة وطيبة للإسلام.
تلاشى في تخميني كل هذا عندما استجاب عبد الهادي لرسالتي وكتب لي المعلومة التالية عن مزار السيدة فاطمة:

(نعم مزار القديسة فاطمة في البرتغال في لشبونة وبالفعل البابا يزورها زيارة خاطفة لمناسبة دينية وليقدس أيضاً الشقيقتين اللتين رأتا ظهور الملاك عام ١٩١٥ لأول مرة في منطقة المزار لتتوالى الظهورات أعوام ١٩١٦ و١٩١٧ حتى عام ١٩٢٣ ليتأكد الظهور ويقام المزار فيها، ثلاث شقيقات راعيات في المنطقة وهن يصلين ظهر لهن الملاك وطلب منهن أن لا يخشين أي شيء وان يصلين من بعده.. منذ تلك اللحظة والحدث شعبي والمكان مزار للمتدينين منهم وللسياح أيضاً)
فاطمة قديسة مسيحية هذا شيء رائع، وسيتكرر الحدث ذاته عام ٢٣١٧، وستحرس زيارة البابا للمزار جنود يركبون خيول الكترونية، عندها البابا يكتم غيظه من تلك المراسيم، والقديسة أيضاً في قبرها، لا تتمنى أن يزورها أحفاد آدم بخيول لا تحمل ذائقة وخواطر وأمنيات وأساطير حصان دون كيشوت
هذا الليل، وتلك هي غرناطة، والكسندر بثينته يعطني دافعاً لنسيان بديهية الأزل التي تقول أن السرير خلق لأثنين، فلقد منحني رضا المراكشي قناعة أن الليل سيكون جميلاً حتى بدون راقصات الفلامنكو، وربما هي نصف مسافة الجنة أن يكون معك خيال القديسة فاطمة بعباءتها المزركشة الطويلة وهي تستقبل في مزارها فقراء كاثوليك يطلبون منها السعادة والرزق وحصاداً وفيراً في حقل الزيتون.
وكذلك تكون معك قصائد إيماءاتها عزلة الحلم اللاتيني في مساحات الغرف وخلف النافذة هناك من ينادي من جنرالات فرانكو ليقتلوا كل الجمهوريين
سيطول الليل، وعليك أن تدرك أن هناك فرقاً شاسعاً بين خيول طروادة وخيول سرفانتس، وهناك أيضاً فرقاً شاسعاً بين أعشاب عطاري شارع الهنود في البصرة وبين عشبة جلجامش، غير إنهما، جلجامش ودون كيشوت يلتقيان عند قدرية أن يكون البحث عن الخلود لا يحتاج إلى هاجس متفق عليه بين البشر حتى يسعون إليه سوية، وان الطواحين التي لم يكن بمقدور فارس سرفانتس أن ينتصر عليها، هي ذاتها الحياة التي تدور بأيامها بنا ولم نعد نستطيع أن ننتصر على روزناماتها التي تتبدل كل عام ونحن نضعها على الحيطان هدية من صيدلية أو بنك أو منظمة إنسانية تعتني بأولئك الذين تبتر الألغام الأرضية سيقانهم.
أعرف أن سيقان جياد سرفانتس الالكترونية عندما يقطعها لغم ارضي ستبدل بسهولة كقطعة غيار. المشكلة في سيقان البشر، وهو من بعض شعور ملك أوروك انه مشى كثيرا وكاد الوحش خمبابا أن يلتهم إحدى ساقيه ليثنيه عن إكمال مسيرته.
الآن الليل وتلك الأزمنة البعيدة والذاهبة إلى الأمام، أتخيلها الآن وقد ركبت عربة الزمن تلك التي صنعها روائي حكايات الخيال العلمي، اقطع لي تذكرة من المحطة الرئيسية لمركبات الفضاء في دوسلدورف.
زوجتي تبكي، وهي تقول: دعك من هاجس سرفانتس وجلجامش، فحين تعود قد تجدنا كهولاً أو تجدنا قبوراً وسوف لن يعرفك أحفادك وأبنائهم.
اغسل خد زوجتي بدمعتي، واهمس له: إني أحقق أمنية لرجل طيب اسمه رضا المراكشي
تقول: ولكني زوجتك وأم أولادك فلماذا لا تحقق أمنيتي؟
أقول: لقد حققتها حين تركت لك حشداً من الأبناء ومكتبتي.
تضحك وتقول: أنت أما مجنون أو ثمل أو بدون عاطفة.
قلت: مجنون نعم. ثمل، لا، بدون عاطفة، لا
قالت: إذن مزق التذكرة وعد إلى بيتك بحق فاطمة ابنة النبي.
أتطلع إلى الأفق الذي تتساقط منه دموع زوجتي مثل أمطار الصيف الألماني، وأتخيل وجه القديسة البرتغالية التي صلى في باحة مزارها بابا الفاتيكان والتي يحق لي أن أرى وجهها وأتبرك به، أما فاطمة بنت الرسول فلا يحق لي أن أشاهد صورتها، لأنها من منقبات بيت النبي، ولكن يحق لي أن اطلب منها البركة.
وبالفعل طلبتها من الفاطمتين، وتوكلت على الله وركبت عربة المستقبل الفضائية، وليس في حقيبتي سوى رواية دون كيشوت لسريفانتس، وملحمة جلجامش بترجمة طه باقر، وصور زوجتي وأبنائي، وكتاب الشعر للكسندر بيثنته الذي أهداه إلي مترجمه عبد الهادي سعدون وبتوقيعه
١٤ماي /٢٠١٧ / دوسلدورف

غراميات حمار جاك بريفير

(الكل يموت
الملك والحمار وأنا
الملك من السأم
والحمار من الجوع
وأنا من الحب)
الشاعر الفرنسي الشعبي جاك بريفير

لا أعرف كيف تكون مشاعر شاعر تحبه فرنسا كلها عندما يقولون له أن حماره الذي مات من الجوع قبل خمسمائة عام، تنتابه مشاعر الحزن لأنه سمع بموت زميله الحمار الفرنسي وهو مسترخ مع دمعته في قفص خشبي في حديقة حيوان بنوها في إحدى مدن محافظة الفيوم المصرية بعدما كان تعداده على الأرض عام ٢٠١٧ حوالي خمس وأربعين مليون حمار، الآن في سنة ٢٦١٧ ميلادية لا يوجد على الأرض سوى عشرة حمير فقط.
حمار الفيوم، وحماران في حديقة سلطان الأستانة في اسطنبول حيث عادت تركيا تسمي نفسها الدولة العثمانية الالكترونية العظمى، وحماران عند إمبراطور اليابان هدية شركة توشيبا إلى جلالته بعد أن استنسخت منهما حماراً الكترونيا يقوم بذات مهام الحمار الطبيعي ولكن بعد إطعامه بالعلف (التبن) وليس بالبنزين، وحمار لدى رئيس بلدية باريس أبقته فرنسا لديها وحافظت عليه تكريماً لروح شاعرها بريفر، وحمار في واشنطن يرافق مندوب أمريكا في اجتماعات هيئة الأمم ويظهره مع العصا أمام أي دولة تريد أن تستخدم الفيتو ضد ما تريده أمريكا، وحمار دالاي ما المرجع البوذي الأعلى لسكان مناطق التبت والنيبال الذي يستخدمه للوصول إلى معبد بوذا الواقع في سفوح قمة افريست في جبال الهملايا.
بقي حماران تقتنيهما فرقة غجرية اسبانية جواله تستخدمهما لجر عربيتهما، لإيمانهم أن خصوصية الغجر تبقى خالدة مع العربات منذ زمن ما قبل لوركا والى اليوم، حيث انسلخ بقية غجر العالم عن الانتماء لتراث العربات المزركشة وصاروا يركبون سيارات البورش الطائرة للوصول إلى الأماكن التي يختارونها لتقديم أغانيهم ورقصاتهم.
فقط غجر العراق الذين يسمونهم (الكاولية) يركبون سيارات فولكا (حديثة) تيمنا بزمن الفولكات في عراق سبعينيات وثمانينات وتسعينيات القرن العشرين، عندما كان الناس يذهبون إلى مضارب الغجر في حي الطرب في البصرة أو الفوار في الديوانية أو أبو غريب في إطراف بغداد أو الفجر في الناصرية أو السحاجي في الموصل، أو حي القرج في ضواحي ابريل، ليتخلصوا من ضجر الانتظار حين يتأخر توزيع المواد الغذائية في بطاقة التموين.
كل حكايتنا هي عن حمار باريس الذي يسمونه حمار جاك بريفر والذي تحافظ بلدية باريس على حياته كما تحافظ على لوحة الموناليزا المعلقة على جدران اللوفر، وفي كل مناسبة رئيس بلدية باريس المسيو (جاك شيراك الرابع عشر) يقول: أن حمار باريس وبرج إيفل هما ما يجب أن تفتخر بهما فرنسا اليوم وغدا، ولأن حمارنا أنثى فنحن نسعى لجلب حمار ذكر لتتزوجه من أجل أن يدام النسل، وأقرب ذكر لنا هو حمار يملكه الغجر الأسبان لكنهم يرفضون أن يمنحوه لنا، لأنهم يقولون الغجري في الإنجاب لا يريد أن يضاجع سوى الأنثى الغجرية، وما يطلبوه منا وهو مستحيل أن نعلن باريس مدينة غجرية حتى يأتي إلينا ذكرهم ليجامع انثانا.
ظل الصراع قائماً والمباحثات مستمرة، إلى الوقت الذي شعرت فيه باريس أن حمار بريفر(الأنثى) أصابته كآبة انتظار من يجامعه وأنه أضرب عن تناول البرسيم والشعير، ويكاد أن يموت من الجوع.
عندها لم يجد رئيس بلدية باريس سوى أن يظهر على شاشة القناة الفرنسية الأولى ويعلن أن باريس أصبحت مدينة غجرية.
عمت الأفراح الجنوب الاسباني، وبعض الغجر اعتقدوا أنها هذا يشبه الانتصار الحربي أن تحسم الحروب من خلال مضاجعة حمار، ولهذا تم تهيئة طائرة اير باص فضائية لنقل الحمار الغجري إلى

باريس من أجل ليلة حمراء واحدة، حيث أصر الغجر في مطلب غريب أن تكون المجامعة الأسطورية على سرير من حديد مأخوذ من حديد برج إيفل.
وبحزن ذعن المسيو جاك شيراك الرابع عشر لمطلب الغجر وقرر تفكيك الجزء العلوي من البرج ليصنعوا سرير الليلة الحمراء.
أطفئت الأنوار في مكان اختاروه على ضفاف نهر السين، ولم تبق على جسر ميرابو غير صورة مؤطرة بالشموع لجاك بريفر ليشاهد وهو على الجسر اللحظة الغرامية بين حماره والحمار الغجري.
وعندما بدا الود بين الحمارين، وقبل أن يلج الذكر الاسباني في الأنثى الفرنسية، انهار الحمار الفرنسي على الأرض وسقط ميتا، ليكتشفوا أنه مات من الجوع، فلقد نسوا أن يطعموه الشعير لينهي إضرابه بعد أن وافقوا على شروط الحمار الغجري.

ابن وردويه وغاتيان بيكون

قد يُفهم أو لا يُفهم هذا الخطاب المبتسر والمتيسر في ساحة خواطر الذهن، وفي الحالتين كما يقول: أبن ورديه وهو لغوي وفيلسوف وموسيقي حيث سيعيش سنة ٢٢٠٠ ميلادية، حين هرب الناس من المكنكة والتاكسي الطائر ونزول أهل المريخ حفاة إلى الأرض قوله: أن تعد العدة لصناعة الحب، لا تحتاج إلى قلب، بل تحتاج إلى شاشة حاسوب لتكتب عليها رسائلك.
في عام ١٩٧٧ أعارني شاعر قصيدة النثر المعروف عبد العظيم حسن فنجان كتاباً لغاتيان بيكون وهو ناقد فرنسي شهير، والكتاب كما أتذكر صادر في مطلع ستينيات القرن الماضي عن دار نشر عويدات اللبنانية، وهو عبارة عن دراسة تاريخية عن الشعر الفرنسي المعاصر، فانتقيت منه ما أحببت أن اقرأه وأحفظه عن ظهر قلب متأثراً بعدة شعراء وأتذكر منهم رينيه شار وسان جون بيرس ولويس اراغون وايف بونفوا، وكانت متعة أعطت لصباي طاقة مجهولة لتعقب مسارات الحب والجمال بشوارع مشيتها أنا والقليل من طلاب صفنا (الرابع عام).
وعندما طلب منا مدرس اللغة العربية توفي رحمه الله واسمه (دوحان رواش حسوني) كتابة إنشاء عن الطبيعة، أغلب الطلاب ذهبوا لوصف مساء في حديقة غازي (وهي حديقة عامة بنتها البلدية بمناسبة زيارة الملك غازي (رحمه الله) لمدنية الناصرية العراقية مطلع ثلاثينات القرن الماضي، أو متنزه المدينة أو بستان الحاج عبود التي كانت مدرستنا الثانوية تقع على إطرافه
أنا وحدي من ذهب إلى غاتيان بيكون أسرق منه سحر الريف الفضاء الفرنسي وقصائده من أجل اعطاء طبيعتنا السومرية التي ملأها الكثير من الصُباخ ومشاهد يومية متكررة لنعوش جنود هبطت من رواقم جبال شمال البلاد التي ابتلت بحرب طاحنة بين الدولة والأكراد، اعطاء لونا أخراً وثقافة حسية تجعل المحسوس ينتفض على تلك المشاهدة الروتينية لبوابة المتنزه بأسديها المتحجرين والمنخوري العجيزة، وأقدام جهيد فلاح بستان الحاج عبود الحافية وهي تغوص في الطين ولا تمتلك سوى ملامح جبين لا ينطق كما تلك الآلات التي ثار ضدها ابن وردويه في الزمن المستقبلي، بالرغم من أن الطلبة الشيوعيين من طلاب صفنا كانوا يرون في جهيد صورة الزمن في جعل الديالكتيك إنسانية المنجل والحياة، عندما كانوا يصرحون: أن السنبلة لا تتحول إلى قمح إلا عندما يناغمها منجل جهيد الفلاح.
قرأ المرحوم مدرس اللغة العربية إنشائي الذي ابتدأته بعبارة لآرثر رامبو والتي تقول: ذات مساء أجلست الجمال على ركبتي، فوجدته مرا. فجذفت إليه
وكنت فيه أعلن تأثري بحدائق غاتيان بيكون ونماذجه المذهلة هنري ميتشو،وايلوار، بريتون،وأحاول في تحسسي لتلك الكائنات الشعرية أن اجعل العالم ليس قيصريات قماشين وأسواق لبيع الخضرة التي يجلبها الحسائية الطيبين إلى المدينة، أو تلك الحوانيت المتشابكة في منطقة الصفاة وهي تبيع الكركم والكزبرة والهيل وكل ما كانت تصدره إلينا مدن كلكتا ودلهي وحيدر آباد الهندية، وشعرت وقتها أني كتبت نصاً يصلح للنشر في أي صحيفة، وكنت أتوقع عند قراءته له أن الدرجة الكاملة في الإنشاء الثلاثين من ثلاثين هي من نصيبي، ولكني عند توزيع الدفاتر تفاجأت أن المرحوم دوحان أبو عدي أعطاني أكثر من الثلاثين، عندما وضع إشارة اكس على كل الصفحة ومعها عبارة: ماهذا الخرط..عرب وين طنبورة وين!
لا أدري لماذا أتذكر عبارة مدرسي المرحوم كلما أريد أن أستعيد شيئاً من ذائقتي الطفولية تلك في مرح أيامها البريئة حيث كانت رسائل الحب تُبعث بيد مرتعشة لسعاة بريد يرتدون قلوبنا أحذية ويسيرون بها إلى أعشاش أنوثة طالبات المدارس اللائي يرتدين التنانير القصيرة المطرزة بعبارات عناوين أغاني عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة.
أتذكر تلك المتعة الحسية والغرامية والإنشائية كلما كنت أذهب إلى متعة قراءة كتاب غاتيان بيكون أو استقوي بعاطفة الرغبة لأمضي مع فصل آخر من رواية كنت أكتبها عن سحر أفلام برجيت باردو فينا، بعد أن أقرأ قصيدة أنابز لسان جون بيرس بترجمة صديقي احمد الباقري والتي نشر مقاطع منها، في كتيب صغير كتب مقدمته الشاعر الشهيد خالد الأمين وكان بعنوان رصيف سوق الإزهار وفيه أعتمد على مصادر الانتقاء للنصوص وشعرائها من كتاب غاتيان بيكون عن الشعر الفرنسي المعاصر.

ثم نشر ترجمتها كاملة في إحدى أعداد مجلة الأقلام، وذات الملحمة الشعرية ظهرت بترجمة عربية أخرى للشاعر العراقي عبد الكريم كاصد نشرها في مجلة الأديب المعاصر التي كانت تصدر وقتها عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب

أعود إلى ابن وردويه المولود في مدينة (عانه) العراقية على ضفاف الفرات عام ٢١٦٠ والمتوفي في مدينة طنجة المغربية عام ٢٢٣٠ ميلادية، واستبصر معه تفاعل الزمن في تخيل ما كان يفكر في هروبه من هذا الهوس الحضاري إلى الذي حول ذلك الكتاب الشيق لبيكون بلونه الترابي والصادر من دار عويدات من قطعة جميلة لورق تحسسته بنغم موسيقى موزارت أصابع ملايين المتصفحين وهم يستمتعون بمغامرات تلك الأفندة الشعرية التي أخذت من رامبو ولوتريامون وسانت بيف وخدود الموناليزا وغيوم ابولنيير وشارل بودلير ولافونتين وغيرهم، أخذت متعة الذوق وتطور الموهبة، لكن كل هذا حولته الحضارة الجديدة إلى قطعة معدن بطول ٥ ملم خزنت فيه تراث العالم الشعري كله من قصائد الهايكو الياباني إلى مقاطع الشعرية الحكيمة التي كانت يتلوها على الناس شاعر أمي واعمى في مدينة سوق الشيوخ العراقية يسمونه (أبو معيشي).

لهذا يشعر ابن وردويه إن الأمر هو مدعاة للأسى ولم يعد هناك من محفز لصناعة الحب والأعداد له بالطرق التي كنا نفعلها يوم يطلب منا المدرس أن نكتب إنشاء لخيال أحلامنا وقراءاتنا وأمانينا حتى لو كانت النتيجة التي نحصل عليها مفردة (خرط) وهي مفردة قميئة قد تقال في مناسبات تقل فيها الحيلة اللغوية والأدبية، ولكن المدرس (رحمه الله) كتبها: للمزاح حتما.

وربما انزعج من ذهابي إلى ما لم يطلع عليه، وتخيل في هذياني أني أرسم طبيعة الوهم، فيما هو يريد تلك الطبيعة التي تلوح فيها قامات نخل بستان حاج عبود وحقول البرسيم والشعير،ويرى من شباك الصف هندام جهيد الأخرس وهو يسحب الطين إلى جسده كمن يسحب قارة اطلانطا من قاع المحيط الأطلسي.

خيبة ابن وردويه، هي خيبة المجهول في مستقبلنا، خيبت هذا الحس الذي يتلاشى الآن ببطء اتجاه محسوس نشاهده ونحسه ونعيشه وهو عبارة عن خلايا الكترونية وأسلاك ملونة وشاشات زئبقية.

شيء يستحق الرثاء أن أعيش في هذا العالم بعيداً عن الكتاب الذي طبعته عويدات عن غاتيان بيكون.

هكذا يشعر ابن وردويه، بعدما تغيب فيه متعة أبناء القرن العشرين، فتسكنه تلك اللحظة اللازمنية التي سكنت ذلك الكاهن البوذي الذي اشترى منه الروائي الألماني هيرمان هيسه الملامح الأولى لروايته الشهيرة سدهارتا، والذي يقول: اللحظة التي أعيشها الآن،ستصبح الحلم المستحيل بالنسبة إلي بعد دقائق. وهو يتقابل في ذلك مع قول لفيلسوف إغريقي ربما عاش في ذات زمن الكاهن البوذي ويدعى هيرقليطس، وهو أيضاً من تأثر بفلسفته الشاعر الفرنسي سان جون بيرس.

فما بالك الآن والفرق بين اللحظة التي كتب بها بيرس ملحمة انابـاز وبين جلسة ابن وردويه هي عشرات الأعوام من متغيرات وعولمة وحروب وفصول لربيع ثورات لاتحصى، وغرق آلاف القوارب لمهاجري الصومال والسنغال وقندهار وسنجار وتعز وادلب.

بين غاتيان بيكون وابن وردويه فاصله من الرؤيا وعلامة تعجب، إن زمن الناقد الفرنسي كان مهيئاً وطبيعياً أن يخلق رائياً فذاً مثل بيكون، ولكن كيف في زمن الانترنيت ومستعمرات البشر فوق عطارد ونبتون أن يعيش رجل يمتهن الفلسفة والتأليف الموسيقي وفقه اللغة.

حتما سأسال مخيلتي عن إمكانية تصديق أن عالماً له مواصفات الفارابي قد يعيش في عام ٢٢٠٠ ميلادية، وأذهب إلى أهل الفقه، فيكون الجواب: الله الذي خلق آدم بنصف عري وأنزله إلى الأرض ليتعلم تفصيل قميصه وخياطته، هو ذاته آدم الذي قاد مركبة ابولو ٩ وصعد إلى القمر عام ١٩٦٩، وهو ذاته أسس شركة أبل العملاقة للإلكترونيات وهو ذاته بعد ألف عام وأكثر من سيسكن عطارد، ويؤلف الموسيقى ويذهب من ضجر الأسلاك إلى متعة اللغة والتأليف وربما سيكثر المتصوفة بأضعاف مضاعفه من أولئك الذين كان الناس يشاهدونهم ويسمعونهم وهم يتخيلون أن الركوب إلى الله والوصول إليه يتم من خلال نظرة عندما كانوا يجلسون على تكيات جوامع بخارى وسمر قند واسطنبول ودمشق وبغداد وأصفهان ومراكش.

العلماء سيكون لهم رائياً محسوباً بمعادلات وفرضيات ومحاضرات لعلماء نفس وفيزيائيين وكيمائيين قولهم: أن المتغير في المشهد الحضاري هو ما يقابل الجفن البشري، وما ينتج يكون نتاج عقل،أي أننا

نصنع ونستمع بما نصنعه وكل خواصنا البيولوجية والتكوينية والخلقية معنا، ونتعامل مع الجديد بحدود حاجتنا، وفي عودتنا إلى الوسادة نستطيع أن نعود كما آدم ونستمع بحلم المخيلة، وكما تعود أنت في متعتك وقت كتابك الإنشاء الذي طلبه منك المرحوم مدرس اللغة العربية.
الآن وضحت الصورة بالنسبة لي، وربما ستتضح بالنسبة إلى ابن ورديه وبعض النخب التي رفضت أن تقرأ غاتيان بيكون في القرص المضغوط وأرادته ليبقى كتابا حتى لو بثمن نقدي غالٍ حيث يُقال أن مزاداً في مدينة لندن باع عام ٢٢٣٠ ميلادية نسخة لكتاب ألف ليلة وليلة طبعة بولاق المصرية ١٨٨٠ بمبلغ خيالي هو مليار جنيه إسترليني، ولكن حتماً لن تكون واضحة في حسها ومحسوسها بالنسبة لمليارات البشر والذين اعتادوا الذهاب إلى مدارسهم وأعمالهم وملاهي الرقص ومباريات كرة القدم وساحات التظاهرات ودوائر التقاعد من خلال ركوب الصحون الطائرة وليس باص مصلحة نقل الركاب.

الرحابنة يبكون كل صباح

في الشرق العربي أيام كان هناك والٍ بعمامة ونعل من صندل وحاجب ينبغي أن يكون أصلعاً وسميناً و ويملأ وجهه شارب غليظ، كانت المدن لا تتفاءل بصمت قصر الوالي الذي لا يُسمع منه سوى شخيره المقدس، وتثاؤب الجواري اللائي سهرن الليل من أجل أن يفرغ كامل قارورته من خمرة عنب أتوا بها من بساتين بعقوبة بقافلة راجلةٍ أول أمس.

في هذا الشرق، كان الناس يتركون لديكة السطوح أن تقول لهم أن الشمس طلعت إليكم فهيا إلى دكاكينكم وإشغالكم، لكن بعض المدن طورت يقظة صباحاتها عندما صار الدراويش ومتصوفة تكيات جوامعها أول من يستيقظون ليبدؤا أناشيد مديح لمن أخرج الشمس من جبّها ومنها في الشبه النور الآتي من وجه يوسف يوم انتصب بخجله الذكوري أمام امرأة العزيز وهاج فيها ما هاج بتأثير هذا النور، وتلك المدائح التي تحولت إلى صدى لأول ساعات النهار تظل طوال اليوم عبارة عن لحظات شدو في ترقب من تلك الكائنات التي ارتدت العمائم والعباءات الصوفية الخشبة، وتعرقت وجاعت ولكنها لم تتوقف عن تلك الأناشيد العالية الصوت والتي كانت تتدلى على شكل أدعية أو قصائد ومرات حين تشتد شمس الظهيرة ويهرب الناس إلى الظل وعرائش البساتين، تتحول تلك المجابهة بين وجه المتصوف وقوة ضوء الشمس إلى ما يشبه الهذيان، والتي حين يتفقدها الناس، بعضهم يحن إليها والآخر يقول استرحنا، ومن يتفاءل بتضحيتهم بنعم الحياة إلى العشق الخشن، تسكنه دمعة شوق فيبكي

أتذكر هذا وأنا استعيد تأثير الرحابنة في حياتنا، والذين صنعوا لنا بلحنهم الصباحي حنجرة فيروز، هم اثنان (عاصي ومنصور) رحلا عن عالمنا الآن وابقوا لنا اليأس وزياد وفيروز التي هي واحدة من ظواهر الشرق الحضارية التي تقترب في تأثير صوتها الصباحي إلى ما يشابه ذلك التأثير التي كانت فيه ديكة الشرق ومتصوفته ترسم الخطوات الأولى لنهار رزقهم وحروبهم وأحلامهم.

عرفت فيروز حين كبرت، والغريب أن الأطفال في صغرهم لا يأنسون أليها بالرغم أنها تصادفهم كل صباح في مذياع الأب أو المقهى حين يمرون، ولكن مع أول لحظات ذكورة الشباب ونشوء خواطر الغرام والرسائل تراهم يذهبون أليها من دون وعي ويصبحون عشاقاً لها بالفطرة.

سواق حافلات الحرب يعرفونها أيضا، وكانوا يتندرون على أغانيها التي تبث بشكل ممنهج في كل صباح من قبل إذاعة بغداد، وكانوا يتندرون على صوتها يوم يعلس شريط الكاسيت الذي في غالبه كانت تسكنه أصوات المنكوب وجعفوري وحسين سعيدة وصباح الخياط بقولهم: الشريط علس، إخوان تريدون تسمعون (بهروز) حيث يحولون قصداً وتندراً الفاء والياء إلى باء وهاء.

ثلاثة أرباع الجنود ممن أتت بهم معاشات عرفاء التطوع ومواليد الاحتياط والخوف من اشتعال الجبهات حيث يتوجهون هم من يقولون لسائق الحافلة بصوتٍ احتاجي: لانريد بهروز، ابحث عن كاسيت آخر.

المثقفون عشاق صوتها هم من يتمنون أغانيها المصنوعة ببكاء تلك اللحظة الروحية التي عرف الرحابنة كيفية تحوليها إلى نوته وحس شعبي لبساطة الحياة وغرامياتها وسرياليتها حين تصبح أغنية مثل (حنه السكران) دافعاً للشعراء ليبدأوا بكتابة تهدجات أرواحهم كما كان يفعل متصوفة تكيات أيامهم القديمة، لكنهم لا يستطيعون المجاهرة بالطلب من سائق الحافلة إبقاء أغانيها، وصمتهم هذا في برلمانات حافلات الفولفو والمرسيدس يمثل قبولاً مع رأي الأغلبية التي تعتقد أن هجع عبد الصاحب شراد يتفوق على نسيم الهوى من مفرق الوادي ورومانسية مشاعر آخر أيام الصيفية، ما دامت نسائمهم تحولت إلى رائحة لبارود المدافع والخنادق الشقية ونعوش من خشب ثقيل أما أن يسكنوا في داخلها أو يحملونها على ظهورهم كمعتمدين لإيصالها إلى أهلها في قرية نائية من قرى المشخاب أو الرفاعي أو ينكجه وهي قرية تركمانية من قرى طوز خروماتو كل سكناها من البيات.

كنا نحتاج إلى بكاء الرحابنه لشعورنا أنهم من خلال صوت فيروز يوصلون إلينا عشرات الرسائل التي تستطيع فيها أرواحنا لتصمد أمام مجهول الحرب، أو تعيننا في استيعاب المنهج الممل في كتاب تاريخ السادس أدبي، وبعضهم جعل من هذا البكاء إيقونات فرح تساعده في إيصال هواجسه لمن يعشقها.

الآن فيروز وحدها، والرحابنه وحدهم مع هياكلهم العظيمة، نحن أيضا وحدنا مع هذه الغربة الرهيبة من العولمة والاتصالات التي فتحت على الجميع هوة من مجهول لا يعرف كيف تحولت كل تلك المسافات التي طواها ابن بطوطة بسنوات عديدة وبناقته إلى قرية صغيرة تستطيع فيها أن ينالك النعاس في اسطنبول لتفتح عينيك في مطار النجف.

وحتماً مع العولمة ومطالبة أمي عبر الواتس آب أن اشتري لها واتر بم جديد لمبردتها وإرسالها لها ببريد (الدي أج ال) من مدينة فوبرتال الألمانية إلى الناصرية السومرية، حتما ستفقد تلك البكاءات الأسطورية الكثير من لذتها الروحية والطقوسية، وما عليك سوى أن تنتصر على مزاج ما يفرضه عليك البزاز في نشرته الإخبارية وعباس البياتي في تصريفاته اللغوية الغربية، وما يجبرك عليه مراسل البي بي سي في ادلب من أن الشام لم يعد لها رقصاً مغرياً لطير الحمام.

تنتصر على كل هؤلاء، وتدفن رأسك تحت اللحاف، وتتخيل أنك في حافلة الريم القديمة، وتجادل ركابها من الجنود لتقنعهم بضرورة إبقاء أغاني فيروز القادمة من المذياع، فهي أسلم لقلوبنا من صوت عبد الصاحب شراد وحسين سعيدة

لكنك في حافلة ثلاث أرباعها ينتظرون (خيط الاستبسال والترفيع) لن تستطيع أبداً كما يقول صعايدة مصر أن تبدل عتريس بباريس.

زبيدة ثروة ميخائيل

زبيدة ثروة ميخائيل، ابنة رجل مسيحي ولد في مدينة العمارة* عام ١٩٣٨ بعدما أتى والده مهاجراً من تلكيف إحدى قرى نينوى قبل أن تتحول إلى ناحية ثم قضاء ليضمن نادي الموظفين في مدينة العمارة والذي كان قبل ذلك هو نادي استراحة مختلط لموظفي الإدارة البريطانية أيام الانتداب ومن ثم صار يجلس فيه ضباط الارتباط الانكليز وضباط حامية المدينة الذي كان عددهم ٢٨ ضابطاً ثمان ضباط منهم من العراقيين ولكن أغلبهم من أهالي الموصل وبغداد، هم ملاك فوج العمارة الأول الذي أوكلت إليه مهمة مسك الحدود البرية والطويلة مع إيران من الشيب وحتى منطقة الطيب وجلات والى ناحية الشهابي

فيما بقيت الحدود الأخرى من المشرح إلى القرنة بدون حراسه كونها مناطق اهوار ومفتوحة على بعضها منذ الأزل.

أحب ميخائيل مدينة العمارة وأهلها وهو من أقنع الحاكم البريطاني في المدينة قبل أن تبدأ الإدارة المدينة العراقية في لواء العمارة أن يؤثث الكنيسية الكاثوليكية في المدينة ويعين لها حارساً وقساً من قساوسة الجيش البريطاني، وحين اشتروا مصاطب الصلوات وكرسي الاعتراف والسجاجيد التي كلفوا بها نساء ريفيات من أهل قرى قلعة صالح بنسجها على شكل بسط ملونة تحمل إيقونات، إرتعبت النساء النساجات في البداية، ولكن ميخائيل أقنع أزواجهن أن هذه ليس سوى رسوماً جميلة ومن بعض صورها مذكورة في سورة مريم في القرآن الكريم، ولأنهن ريفيات ولم يسمعن بسورة مريم، تم الإتيان بقارئ جامع قلعة صالح وقرأ لهن الصورة وفسر آياتها لهن فقتنعن أن الصورة الكنائسية مذكورة في الآيات والكتاب فرضين نقشها على البسط الذي يسمى بلهجة الجنوب (الايزار) إضافة إلى ذلك الكنيسة تبرعت أيضاً بشراء عشرة بسط لجامع المدينة منسوجاً عليها صوراً لمكة المكرمة وصوراً لقباب أئمة واولياء وقبة ضريح النبي العزير الذي لا يبعد عن بيوتهن سوى عشرين ميلاً، وبهذا قبلت النساء إنجاز ما كلفن به مقابل ثمان ليرات هندية لكل بساط تدفع من قبل خزينة وزارة المستعمرات البريطانية وقد همّش السير برسي كوكس على الطلب والموافقة بنفسه.

في ١/ ٧ / ١٩٥٧.سمعت جميع بيوت مدينة العمارة قرع أجراس الكنيسة، وفي غير مواعيد القداس، فتبين لأهل مدينة العمارة أن حنا قد وافاه الأجل.

الذين كانوا يترنحون مع شذى الكؤوس التي كان يقدمها لهم وأغلبهم من المعلمين والموظفين والمثقفين هبوا إلى حضور قداس جنازته، فيما همهم المصلون مع أنفسهم قولهم: ليسامحه الله.

فأجابتهم لافتة النعي الصغيرة التي علقت على بوابة الكنيسة بتلك العبارة التي تبرع بخطها أحد معلمي اللغة العربية في ثانوية العمارة والتي تقول: طوبى للرحماء فأنهم يرحمون.وهي أول عبارة إنجيلية تكتب على جدران مدينة جنوبية.

بعد أربعة أعوام من موت ميخائيل قرر ولده الوحيد ثروت الهجرة من العمارة إلى بغداد، وقد تقاسم مطعماً ومشرباً على ضفاف دجلة من جهة الكرخ مع أيزيدي من أبناء سنجار، وقد تمنى عليه زملائه من المسيحيين السكن في كمب سارة أو البتاوين حيث جاء ليسكن بغداد منذ شهرين، لكنه قال: جيراننا بيت أبو عواد من أهالي العمارة، أعطاه الزعيم بيتاً في الثورة، وبنتي زبيدة أمس هي من قدمت الورود للزعيم في توزيع سندات الطابو، واليكم سبب أني سأسكن من الغد في مدينة الثورة إلى جانب جارنا العمارتلي، فحين رأى وردة الزعيم تعجب وسألها: أنت بغدادية لو عمارتلية.؟

ردت زبيدة: من العمارة

تسائل الزعيم وبتعجب: ولكن عيونك خضر.؟

قالت: أبوي مسيحي، ولكن مولود بالعمارة.

تذكر الزعيم جيداً أنه في إحدى فرضيات التدريب للواء الرابع عشر في العمارة حيث كان حاضراً بصفة مفتش قطعات، كان آمر حامية العمارة قد دعاه إلى ليلة عشاء في نادي الموظفين، ومن قدم لهم الطعام والشراب هو ثروت ميخائيل. ووقتها أعطاه الزعيم ربع دينار كبقشيش، وهو ما لم يعطه بقدره أي زبون من زبائن النادي.

فسألها الزعيم: وهل يعلم والدكِ أنك من سيقدم للزعيم باقة الورد.
قالت نعم، وقال لي ليت الزعيم يعرف أن الربع دينار الذي أهداه لي ذات ليلة لم يزل معي ولم أصرفه.
ضحك الزعيم: وبعد؟
قال لي لو اقتربت من الزعيم قولي له أن أبي يريد بيتاً مع أهل العمارة ليسكن قرب بيت جاره أبي عواد.
التفت الزعيم إلى مرافقه وقال: امنحوا والد هذه الطفلة الجميلة بيتاً في المدينة الثورة. لهذا (قال ثروت لرفاقه في النادي): سأعيش وعائلتي في مدينة
عاشت زبيدة كواحدة من أجمل تلميذات مدرسة الثورة الابتدائية، والغريب أن وجهها المدور بالرغم من طفوليته كان كثير الشبه بوجه الممثلة المصرية زبيدة ثروة التي كانت أيضا بعيون واسعة وخضر، ولهذا كان المعلمون يتفاءلون بوجه التلميذة زبيدة خصوصاً أولئك المغرمين بالأفلام الرومانسية المصرية، و كان عليها أن تخرج كل يوم في الاصطفاف الصباحي لتقرأ النشيد
يوم كبرت زبيدة ثروت ميخائيل أحست بذلك الشبه الذي بينها وبين الممثلة المصرية لهذا أدمنت على مشاهدة أفلامها وخصوصاً تلك التي مثلتها مع المطرب عبد الحليم حافظ حتى أنها تمنت أن تتزوج شاباً اسمه عبد الحليم وبمواصفاته حتى لو كان مسلما.
الأب أحس برغبة ابنته الجنونية فأبرق إلى ابن عمه توما الذي يعيش في تلكيف، بأن زبيدة كبرت وأصبحت في سن الزواج ولم يجد من يليق بها وتمنى عليه أن يخطبها لابنه ولكن بشرط أن يغير اسمه من نوح إلى عبد الحليم مادامت زبيدة لا تعرف أن لها ابن عم اسمه نوح.
نجحت الخطة، وأتى نوح باسمه الجديد وتزوج زبيدة وسكن معهما في مدينة الثورة، ومثل عمه ثروة ميخائيل أصبح عبد الحليم (نوح)سابقا، محبوباً من قبل أهالي المدينة وكانوا يسمونه زوج ابنة الزعيم حيث اقترن هذا اللقب بزبيدة منذ أن قدمت الورد للزعيم وأهداها بيتاً في مدينة الثورة.
عام ١٩٧٢ تمت دعوة عبد الحليم إلى الخدمة العسكرية، ونسب طباخاً لآمر الفوج الأول للواء ١٩ في قاطع خليفان والذي كان الزعيم عبد الكريم أمراً له
وذات يوم اشتهى آمر الفوج من طباخه أن يطبخ له ورق الخباز الطبيعي الذي كان ينمو في محيط ساتر مقر الفوج، فذهب نوح ليجمع أوراقه فترصده قناصٌ من البيشمركة ووضع الرصاصة في رأسه.
في ذلك اليوم شيعت مدينة الثورة جنديها المسيحي القتيل في حرب برزان، ومعهم مشت زبيدة تذرف دموعها الخضراء بنحيب لا يشبه عويل وبكاء نساء الجيران اللائي كن يرددن جملتهن الشهيرة خلف نعش عبد الحليم: طركاعه الفت برزان بيس بأهل العمارة.
وحين وصلوا إلى مقبرة المسيح في جانب الرصافة، وإثناء الدفن تفاجأت زبيدة بأن شاهدة قبر زوجها مكتوب عليها، هنا يرقد الجندي الشهيد نوح توما اليسوعي.
في البيت سألت أبيها عن سبب تغيير اسم زوجها وتسميته بنوح على شاهدة القبر.
روى الأب القصة لابنته، وبالرغم من أنها شعرت أن أبيها خدعها لكنها قالت مع نفسها كان زوجاً رائعاً.
بعد عام من موت نوح (عبد الحليم) رفضت زبيدة ثروة كل طلبات الزواج التي تقدمت إليها من أقاربها وأبناء أصدقاء أبيها، وقالت أنها تخاف أن تخدع بعبد الحليم آخر، فظلت مع ابنتها وردة مدمنة على مشاهدة أفلام الممثلة المصرية زبيدة ثروة.
في يوم ١٣ / ١٢ / ٢٠١٦ كانت وردة ابنة زبيدة قد خرجت للتو من دائرة تسجيل طابو مدينة الثورة حيث تعمل موظفة وركبت سيارة الكيا عائدة إلى بيتها، وحين فتح السائق جهاز الراديو في سيارته، نقلت إحدى الإذاعات خبر وفاة الممثلة المصرية زبيدة ثروة عن ٧٦عاما.
هرعت البنت حزينة لتخبر أمها، دخلت غرفتها لتنبئها بموت قرينتها، ولكنها صرخت مرعوبة حين تفاجأت وهي ترى والدتها جثة هامدة على السرير.

الشظية في جيب البالطو

ـ أساطير البالطو وحرب البلقان

لا أعرف أن كان أصل مفردة البالطو والتي تعني المعطف الطويل هي تركية، لكن الباشا نوري سعيد وقد كان ضابطا متطوعا في الجيش التركي في حرب البلقان، أصر ليعود الى بغداد بالبالطو المثقوب من شظية مدفع نمساوي، معتبراً أنه من ذكرى الحرب، ويقال أنه أراد أن يرتديه في أول يوم توزير له كوزير خارجية في الحكومة الملكية العراقية، لكنهم نصحوه بقولهم: باشا، الفقراء وحدهم من تكون معاطفهم مثقوبة.

ـ مأتم أرشد
أقام المعلم المتقاعد جبر ماهود فاضل الساعدي أول أيام مأتم ولده أرشد الذي قتل دفاعا عن اسوار نينوى.
لموت الحرب مع جبر قصص تبدأ من رحم الأم الى دمعة النعش، حكايات متسلسلة مثل سبحته الكهرب، الفرق أن خرزها مئة وواحد خرزه، وهو فقد في الحرب من عائلته الكبيرة من الأعمام والأخوال وفخذ العشيرة ١٠١ شهيداً. ابتدأها من أخيه الأكبر موزان الذي استشهد في فلسطين في معركة جنين ومرورا بابن عمه موحان الذي لم يزل قبره في مقبرة بضواحي مدينة القنيطرة السورية، وحتى ولده الكبير اسعد الذي استشهد فوق جبل كردمند ولحقه ابنه الثاني ورد في معارك حفر الباطن والآن أصغرهم ارشد حيث يقف الآن تحت الجادر المنصوب في الشارع العام بقطاع ٥٥ مرتدياً البالطو الذي عاش معه كل سنوات التعليم منذ أن تعيَّن كمعلم عام ١٩٦٠ في مدرسة النور بإحدى قرى اهوار قضاء المشرح، ثم هاجر الى مدينة الثورة قطاع ٥٥ معلماً في أحدى مدارسها.
يتذكر أنهم كانوا يسمونه المعلم أبو البالطو، والذي توسل إليه كثيراً الحراس الليليين في القطاع ليشتروه منه لأن قماشه من الجوخ الصوفي السميك
فيجيبهم: إن لهذا البالطو تاريخاً عجيباً ولو كان في بريطانيا لاشتروه بثمن غال، إنه بالطو الباشا نوري سعيد المثقوب بشظية حرب وقد أخذه والدي من بيته حفاظا عليه عندما كان حارسا في بيته كجندي مكلف يوم سحلوا الباشا. وأظن أن الباشا راضيا ليكون أبي أمينا على بالطوه.
هو ذاته البالطو الذي عاش مع ثقب شظيته مع مفارقة أن أولادي الثلاثة جميعا استشهدوا بشظية مدفع.

ـ اليوم الرابع من المأتم
انتهى مأتم أرشد، وعاد جبر الى بيته يتلقى التعازي من الذين لم تسمح لهم ظروفهم حضور مأتم الأيام الثلاثة، وكان يرتدي البالطو ذاته، وقد أوصى ولده الرابع (احمد) الناجي الوحيد من محرقة الحروب انه يوم يموت يتمنى أن يدفنوا بالطوه معه.
اليوم الخامس وفي فجر هادئ أخذ الله أمانته وتوفي المعلم المتقاعد جبر ماهود الساعدي بنوبة قلبية مفاجئة، فسرها الطبيب الخفر في مستشفى الثورة العام إنه نتاج كآبة شديدة.
حين أرادوا أن يواروه التراب في قبره الأبدي قرب قبور أبناءه الثلاثة، رفض الدفان أن يضع بالطوه قربه، وقال: أن هذا لا يصلح.
لكن ولده أصر لأنها وصية أبيه.
رضخ الدفان للأمر وأنزل البالطو قرب الرجل المسجى وفجأة انتبه الى أن شيئاً ثقيلا في جيب البالطو تحسسه الدفان وقال للابن: ربما أبوك نسي ربع دينار حديد في جيبه كان يضعه للرزق.
مد يده للجيب ليخرج قطعة الحديد، فوجدها عبارة عن قطعة حديد صدئة لشظية مدفع.
تلك الشظية أبقاها جبر في جيب البالطو منذ أن ورثه عن أبيه، ولا أحد يعلم إن كانت هذه الشظية هي من حرب البلقان أم من حروب أخرى.

حسن بريسم وجنود قطاع ٥٢

في مذكرات ملك أوروك جلجامش نوماس منعثر والذي عثرت عليها البعثة الألمانية التي نقبت في الوركاء مطلع القرن العشرين وجدوا إشارات من الملك السومري وقد دونها أثناء رحلته بين السماوة وغابة الأرز في مدينة عالية اللبنانية قوله: إذا لم تجد الخبز غذاء لسفرك فأستعن بحناجر مطربي أهل العمارة والناصرية وسانتياغو، ويقال أن إشارته الى سانتياغو كان تضامنا مع المغني الشيلي فكتور جارا الذي قتله جنود الفاشي بيونشت أثناء الانقلاب العسكري ضد حكومة سلفادور الليندي اليسارية.
وفي حاشية متن هذه الصفحة كانت هناك إشارة الى داخل حسن من أهالي مملكة أور في عهد ملكها الموسيقار شولكي، فيما أشار الى حسن بريسم وفي اعتقادي أنه وليد إحدى قرى أو مدن مملكة ميسان الواقعة على الحدود العيلامية ـ السومرية
قرأت تلك المذكرات بطبعتها الفرنسية لدار غاليمار، حين جلبتها معي الى ربيئتنا المتعلقة في سقف سماء جبل كردمند في قاطع حاج عمران حيث يشاركني فيها ثمانية جنود أربعة منهم من مدينة الثورة قطاع ٥٢ ولأني أحد سكنة أور فقد تشبعت روحاً وذاكرة بصوت الخالد داخل حسن، أما حسن بريسم فهو من جيل حداثة لم أسمعه واستغرب كيف سمعه ملك أوروك قبل أن أسمعه أنا.
وكان شوقي كبير لأسمعه فسألت عنه جنود قطاع ٥٢ فضحكوا كلهم ضحكة واحدة وقالوا: نحن نسمعه قبل النوم فهو من يجلب الحنين الى قرى أجدادنا في الكحلاء والمشرح والحلفاية والعمارة وقلعة صالح وشوارع الحنين في قطاعات مدينتنا.
أرد عليهم: وهل تخليتم عن عبادي وجعفوري وحسين سعيدة وسلمان المنكوب؟
قال أحدهم: إن فيه أنين حزنَ ما يحرك فينا الأشياء البعيدة،هو مكمل لهم ولكن بطرب جديد، خذ صوته الليلة معك واسمعه، ستدمن عليه مثلي. منتصف الليل عندما ختمت أم كلثوم أسطورتها (أغداً ألقاك) ذهبت الى فصل روايتي الجديدة وحين تعبت من الكتابة قلت لأجرب الراحة الذهنية والجسدية مع صوت حسن بريسم. سمعته فشعرت أن صوته ينعش فينا حداثة أن ترى الحنين والحزن تقريب لما هو بعيد عنك. وجه أمك وأبيك وأخوتك الذين ارتدوا مثل خوذ الحرب، واحد في بحيرة الأسماك والآخر في قاطع مندلي وأنتَ تتدلى أجفانك مع الخيوط النازلة من أثواب النجوم فوق الجبال العالية ليحسسك صوت حسن بريسم بدفء عاطفة الغرام في رغبته لاستعادة أمكنة الجنوب المفقودة، دلمون وعدن وقرى المعدان التي أحرقتها مدافع ألوية الاهوار التي شكلتها الدولة خوفاً من ثورة تأتي من أعماق غابات القصب. تشعر أن القرين بين جارا وحسن بريسم هو مقاربة الروح في تماثلها للغرام الياسري، لكن فكتور جارا قتلوه في ملعب كرة قدم فيما حسن ربما مثلي يتحزم بنطاق الجيش ويفكر بالهروب هو وبحته السومرية الى جهات المنفى.
صباحا شكرت الجندي من أهالي الثورة لأنه عرفني بحسن، ابتسم وقال وستعرف معه روحك والدمعة وغرام الحبيبات. في الظهيرة تعرضت ربيئتنا الى قصف مدافع الهاون، فأصيب في هذا القصف الجندي الذي أهداني كاسيت أغاني حسن بريسم. كنت أول من هرع إليه لأرى شظية وقد ثقبت خاصرته، نظر إلي وقد سكنته دمعة مضيئة، وهمس لي: سأغدر المكان مع جرحي أما موتاً أو شفاءً، ولكن إن مُت خذ كاسيت حسن بريسم وتذكرني كلما غرقت بونينه، وإن عدت أعد إليَ الكاسيت لأكمل شفائي معه.
تأخر وصول المسعفين من مقر السرية، نزف دما كثيراً الجندي (حبيب قطاع ٥٢) حيث كنا نلقبه في الفصيل، وعندما تم إخلاءه كان النزيف قد أخذ منه كل دمه ليموت بجرح ليس مميتا.
بعد سنوات طويلة كنت أتمشى في شارع المتنبي، وجدت نفسي وجهاً لوجه مع حسن بريسم الذي كان يعرفني حتى دون أن نلتقي،
تبادلنا التحيات ومع ابتسامته الهادئة الملونة بجنوب أزرق تذكرت صديقي حبيب قطاع ٥٢. وكم تمنيت أن أستعيد معه قصة الكاسيت.
لكن صديقا تدخل بيننا في الحديث ونسيت قصة حبيب قطاع ٥٢ وأبقيت سعادتي بالتعارف على حسن بريسم.

عَجمْ مدينة الثورة

في سبعينيات القرن الماضي وذات ظهيرة باردة على جبل أسمه (كورك) في شمال البلاد التي أنجبت الرصاصة والوردة في رحم واحد، حيث لم يكن بمقدور عجلات الأورال والزيل العسكرية الوصول الى الربايا المواجهة لمنطقة حاج عمران، وعلى الجنود الترجل منها وصعود حافلات حيوانية صنعتها مصانع فولكا الروسية للسيارات يسموها الجنود بغال الزيل.
في هذه الظهيرة عندما كنت أتمتع بشمس الشتاء وأقتفي أثر الذكريات في أفق يذهب بي الى قرية المساعدة في عمق الاهوار حيث المدرسة التي عُينت بها، وخيال افتراضات أحلامنا الأوربية وتقبيل ممثلات السينما من (شفايفهن)، وحيث يصعقك البعوض والحرمس حين يعيدك الى الواقع الحقيقي وأنت تملأ صدرك بعفونة الأسماك المقتولة والطافية على الماء، وبالرغم من هذا سر جمال تلك الأمكنة إنها قارة من الأحلام وجنة متخيلة في رغبة المعلمين ليقضوا صيفهم في باريس.
لكنهم دعوني الى خدمة الاحتياط، وتبخرت باريس واسطنبول وعربات قطار طوروس ولم يبق سوى صورة البغال الثلاث وهي تصعد ببطء صوب مقر السرية فمسكت فضولي لأن البغال أتت في وقت لا أحد يتوجه الى سريتنا المنعزلة في الطرف القصي من كورك. ، ,ومن يقودها ثلاثة واحد من مقر الفوج واثنين غرباء جنود غرباء وليسوا من سريتنا، وحين وصلوا، شعرت بالغرابة عندما عرفت إنهما أخوين أتيا نقلا الى سريتنا وكنت أنا أول من استقبلهم وقلت لهم إنكما محظوظان عندما نسبتما الى مكان واحد ولا أدري لماذا ساقوكما في وقت واحد ولا يبدو لي أنكما توأمين
ضحك أحدهم وقال: ألم تقل أنه حظنا الجميل؟
لم أفهم خبايا عبارته، ولأني أشتغل في قلم السرية كوني الخريج الوحيد فيها، لفت انتباهي اسم الجندين، وهما رضا ملك شاه وعلي ملك شاه، واقتربت مع اسميهما لسبب إرسالهم الى هذا المنفى، وبمرور الأيام صادقتهما واطمئنا علي بعدما أصبحنا ثلاثة خريجين في السرية واقترح آمرها أن ينسب الاثنين معي في قلم السرية إلا أن كتاباً سرياً جاء من استخبارات اللواء منع أمر آمر السرية من تنسيبهما معي بالرغم إن رضا كان مهندساً يعمل في الشركة العامة لإنتاج الزيوت فيما يعمل علي صيدليا في مدينة الطب وهما من سكنة مدينة الثورة حيث استغرب آمر السرية وقال المدينة صنعها الزعيم عبد الكريم قاسم للفقراء وعندي في سريتي ثمان جنود منها، أفضلهم أكمل المتوسطة، واحدة من مفاجآت حياتي العسكرية أن تأتينا كفاءات من مدينة الثورة ولكن لا أعرف لماذا اعترضوا على تنسيبكم الى القلم، ثم همس: لو كنتم شيوعيين أو حزب دعوة لتم إعدامكم فورا. لكن الأمر الثالث هو ما يشغلني وأريد أن أعرفه منكما إن كنتم صادقين؟
قال علي ضاحكا : سيدي نحن من عجم مدينة الثورة.
قال آمر السرية: أنا أعرف أن أغلب سكان الثورة من عرب الجنوب وفيها حي للأكراد أيضاً، ولم أسمع أن فيها عجم!
قال رضا: هكذا صنفتنا الدولة؟
قلت: وهل أنتم عجم حقا؟
قال رضا كلا نحن أكراد أفيليه وأصلنا من خانقين. جدي نزح الى بغداد بعقوبة إدارية بعد أن كان باش كاتب في القضاء، وكانت لديه صورا أصلية التقطها مع الشاعر الهندي الكبير طاغور عند مروره بخانقين عبر النقطة الحدودية في خسروي قادما من الهند عبر إيران الى بغداد، لكن قائمقام القضاء أصر على أخذها لأنها كما يعتقد ذات يوم سيصبح لها ثمناً باهضا، فرفض أبي وحدث بينهما تلاسن انتهى بصفعة من جدي على خد القائمقام.
قلت: ولماذا أنتما هنا سوية والدولة تحتاج الى خبراتكما وهي تعفي الخريجين من الخدمة؟
اختصر رضا القصة بأنهما من ضحايا قرارت التسفير وإسقاط الجنسية عن أولئك الذين ليس لديهم شهادات التبعية العثمانية واعتبرتهم الدولة في أثناء خلافها مع شاه إيران على أنهم من التبعية الإيرانية وقامت بتسفيرهم عبر المنافذ الحدودية في مندلي وخانقين وزرباطية والشلامجة، وكان معظم هؤلاء المسفرين مولدين في العراق أب عن جد والكثير منهم هم أكراد افيلية وليسوا من الأصول

الإيرانية لكن الدولة افترضت هذا، سفروا عوائلنا وأقاربنا وأبقونا نحن بطلب من دوائرنا لحاجتهم الماسة الى خبراتنا، لكن احد المسؤولين وافق على استثنائنا أو تأجيل ترحيلنا بشرط أن نخدم العسكرية لعام وفي مكان فيه حرب لنثبت للوطن ولائنا كما قال، وربما تعمدوا أن نكون نحن الاثنين في هذا المكان.
قال آمر السرية: مادمتم انتم من الأكراد الفيلية اذاً ستوجهون بنادقكم صوب أبناء جلدتكم من الأكراد (العصاة). الإيرانيون أيضاً أمامنا لكننا لا نتراشق معهم سوى بالمدفعية بين الحين والآخر، تلك معضلة بالنسبة لكم
قال: رضا سيدي نحن أتينا لخدمة العلم، وأيّ كان فهي الجندية وتلك أوامرها
أدركت سر إجابة رضا، لأن كتبة التقارير السرية كثيرون.
همست له: لا تخشى من شيء آمر السرية من الكوت وأنا من الناصرية
قال رضا: وأنا من مدينة الثورة.
لا ادري كيف عرف بقية الجنود سبب تنسيبهما لسريتنا، ولا أعرف من أشاع هذه التسمية في السرية حين يشار للأخوين علي ورضا فيقال عنهما (عجم الثورة) فكانا ينزعجان جداً من هذه التسمية لكنهما امتلكا روحا طيبة ومتسامحة وخالية من عقد الجنود الاميين ورضيا على مضض تلك التسمية التي صار بعض الجنود يجاهر فيها بالمناداة أثناء المزاح، ليسأل رضا: رضا بالله عليك ما الفرق بين ثوم العجم وثوم الثورة.
فيرد رضا: الأول يصبح معه الطرشي لذيذاً، والثاني أما يُسفر الى إيران أو يجيء هنا ليقابل جهرتكَ كل صباح.
يضحك الجميع ونمضي يومنا نيام أو لتحضير الطعام، فيما يتوزع الليل على نقاط الحراسة خوفا من رصاصة برنو يحملها في بندقيته متمرد كردي يراقب جنود سريتنا عبر ضوء القمر أو بريق النجوم من الشكفته التي لا تبعد سوى ميل عن أول ربيئة حراسة في سريتنا الثالثة الفوج الأول اللواء ٣٦ مشاة
ذات يوم نزل رضا لجلب الماء من نبع يقع في الوادي القريب، ولأنه ينزل لأول مرة لم يتبع الطريق النيسمي الواصل الى النبع وداست قدمه على لغم ارضي ليموت بحزن انه فارق أخيه الذي ذكرنا نحيبه بنحيب من يموت خارج وطنه
قال آمر السرية بإمكان علي أن يذهب بأخيه الى مثواه الأخير بعد أن تكملوا أوراقه، وكلفني أن أكون مع علي لحين إيصال جثمانه الى النجف.
رافقت علي مع نعش أخيه، لنواجه معضلة نقل الجثمان من مستشفى اربيل العسكري الى بغداد عندما طلب منا النائب الضابط المسؤول عن ترحيل جثامين قتلى الحرب هوية الأحوال المدينة للقتيل رضا، فأخبره علي أنه شقيقه وأن الحكومة سحبت منهما هوية الأحوال المدنية وكل الأوراق الثبوتية
عندها رفض النائب ضابط توقيع أوراق ترحيل النعش، وأخبر الضابط المسؤول وبدوره أيد قرار النائب ضابط لأنهم لا يرحلون الجثث المجهولة.
قلت للضابط: سيدي هو ليس مجهولاً وهذا كتاب من الوحدة يؤكد استشهاده بلغم أثناء الواجب الرسمي.
قال الضابط: أوراق الوحدة ليست صك غفران بأماكنك طبعها بسوق القرطاسية في اربيل وختمها.لكن الجنسية هي صك الغفران.
قال أخيه وهو ينتحب: ما الحل؟
قال الضابط: نبقيه في الثلاجة لحين مخاطبة مقر الفرقة وبدورها تخاطب وزارة الدفاع، ونرى ماذا يقولون.
قال علي: هذا يعني أن أربعينية أخي تنتهي وربما سنويته وهو في الثلاجة؟
قال الضابط بدون اكتراث: وربما أكثر.
قلت لعلي: لماذا لا نعود الى وحدتنا ونخبر مقر اللواء وهم يتصرفون
قال: لن أفعلها وأترك جثة أخي وحدها في الثلاجة، أمي رحمها الله قبل تسفيرها امنته عندي لن أخون الأمانة.

سأبقى في اربيل حتى لو دخلت هروب
رأيت إصراراً كبيراً في عينيه، وعدت الى السرية لأخبر الآمر بما جرى
ما فعله علي في الأيام اللاحقة وقد ملّ انتظار الكتاب القادم من بغداد أنه ذهب الى أحد أقاربه في مدينة اربيل واتفق معه على تهيئة خطة لسرقة جثة أخيه والذهاب بها الى النجف.
أخبره أقاربه بقوله: قد نستطيع سرقتها من ثلاجة المستشفى برشوة الفراشين ولكن الذهاب بها الى النجف من الصعوبة، ندفنها هنا في اربيل.
رفض علي المقترح وقال: نعبر بها الحدود وندفنها هناك قرب قبر أمي التي توفيت ما أن عبرت الحدود ودفنت في السيدة معصومة.
رد أقاربه: يابه هاي أصعب من الذهاب بها الى النجف.
ولكني سأفعلها إن أخرجتم جثمانه من الثلاجة.
أتفق علي مع سائق تركتور يوصله الى منطقة الحاج عمران من خلال ممرات وفتحات ليس بها ربايا وحمل نعش أخيه وعبر بها الحدود وقد ساعده الجو البارد على عدم تفسخ الجسد.
أرسل لي رسالة شكر وتحية بيد سائق سيارة الحانوت، ولأنه يثق بي كتب لي عن خطته.
ولا أدري إن كان قد وصل بالجثة أم لا....؟
ولكن بعد مرور عشرات الأعوام على هذه الحادثة، شاهدت لافتة انتخابية في إحدى مداخل مدينة الثورة تعلن عن مرشح انتخابي اسمه علي ملك شاه
قلت مع نفسي ضاحكا: ربما لا يعرفني الآن، ولكن المهم عاد عجم الثورة ليعيشوا في مدينتهم.

ماركيز وحسين حنطاوي

شاعت في حرب الثمانينات أن الدولة ستعفي الذين تولدوا في عام ١٩٦٨ من الخدمة العسكرية كونهم مواليد الثورة، لكن الأمر لم يكن سوى مجرد خدعة مخابراتية حتى يذهب أبناء هذا التولد الى التجانيد لعمل دفتر الخدمة ثم سوقهم الى جبهات القتال.
كان ذلك عام ١٩٨٦
وفي يوم ممطر كانت وحدتنا تتجحفل قريبا من بساتين خانقين عندما التحق إلينا ابن مدينة الثورة حسين حنطاوي كمخابر سلكي، ولا يفقه من الدنيا سوى فطرة ريفية غريبة وتفنن في لعب كرة القدم وشهادة الثاني متوسط
أول يوم بدى مرتجفاً خائفاً عندما رمقه نائب ضابط المخابرة بنظرة قوية وسأله: من أيّ قطاع أنت بالثورة؟
اجاب حسين بفخر: قطاع ٥٥
ضحك النائب ضابط وسأله: وهل مازالت حروبكم تقام بالشوميات؟
رد حسين بلغة ساخرة: جا بيش تريدها بآر بي جي ٧
رد النائب ضابط: والله انتم ال٥٥ حتى بازوكا عدكم
قال حسين: نعم نخوتنا هي البازوكا
لا أدري لماذا شعر حسين حنطاوي أني قريب إليه بالرغم من علمه أني مثقف وأكتب القصص وبرتبة عريف.
أنا نفسي استلطفت هذا الكائن المرح والذي أتقن حفظ الطور المحمداوي بأصوله وكان أيضاً يقلد سلمان المنكوب وحسين سعيدة وصباح الخياط وعبادي العماري، وبحنجرته هذه أعاد حسين نائب ضابط المخابرة الى جادة المودة، وغير رأيه بهذا القادم من قطاع ٥٥ والذي تم سجنه لأربعة أيام لأنه راوغ أحد ضباط البطرية في مباراة كرة القدم، وجعل الجنود يسخرون منه بعدما كان يعتقد أنه أحسن لاعب في فريق البطرية، ولكن حسين تلاعب به وسجل هدفا، وفي المرة الثانية تعثر بقدم حسين وسقط على وجهه وسط فرح الجميع بهزيمته أمام ابن الثورة، فأعتقد أو قصد العقوبة لأن حسين تعمد في عرقلته وسقوطه.
زرت حسين في سجن الكتيبة. فقال لي: أريد شيئاً أتسلى به، لقد بحت حنجرتي من الونين والمساجين يفرحون بصوتي لكنهم بخلاء، يأكلون لبطونهم ولا أحد منهم كرمني بعلبة ببسي كولا أو علبة جبن مثلثات!
قلت: ما بيدي الآن يسلي ولكنه لا يسليك.
قال: هذا الكتاب، إذا قصة دعنا نتسلى بها قلت: أنه خريف البطريرك لماركيز، ما فيه ليست بضاعتك يا حسين، أنت تحتاج الى قصص أبو زيد الهلالي وحكايات فدعة والاهوار وشقاوات مدينتكم.
لنجرب هذا جنون أن تجرب مع ماركيز،هو روائي صعب يحتاج الى عقل متعلم جيداً يا حسين.
المهم أريد أن أجرب
قلت: خذه اقرأه، أما يصاب ماركيز بالجنون، أو ماركيز يصيبك بالجنون
بأربعة أيام السجن قرأ حسين خريف البطريرك، وقتها لم أكن مهتما بتأثير الرواية على حسين حنطاوي، لأني مؤمنا أنه لن يفهم منها شيئاً.
انتهت الأيام الأربعة وعاد إلينا حسين حنطاوي متأبطا بطانية نومه ورواية ماركيز.
استقبله الجنود ولم يسألوه عن الكتاب الذي في يده، وحتى يفهمني أنه قرأه وفهمه صار يمشي أمامي كما البطريك، ولا أدري لماذا تخيل حنطاوي أن البطريرك هو ذاته طائر البطريق؟
صاح أحد الجنود: ها أبو علي شنو بالسجن أصابتك البواسير.
رد على الجندي: أيها الغبي إنها مشية البطريق، البطريق الذي يجب أن نسلخ جلده ونشويه، متى نشوي البطريق لن تكون حرب.
صعقت من الرد، وأدركت أن الضابط الذي أرسل حسين الى السجن لو سمع الرد ورأى الرواية في يده لذهبنا أنا وهو الى فرقة الإعدام.
أنا بنعش الى الناصرية وهو بنعش الى قطاع ٥٥

السيرة الذاتية للكاتب

الكاتب / نعيم عبد مهلهل
مواليد العراق
- حائز على جائزة الدولة في الرواية ٢٠٠٢.
- حائز على جائزة دار الشؤون الثقافية في القصة الجائزة التقديرية عن مجموعته القصصية (طيور الفاو الجميلة) عام ١٩٧٨.
- حائز على جائزة القصة / المرتبة الأولى في مسابقة مجلة المرأة عام ١٩٩٠ عن قصة (فتاة الاستعلامات).
- حائز على الجائزة الأولى في القصة لمسابقة اتحاد أدباء وكتاب ذي قار عام ١٩٩٤ عن قصته (دموع حمزاتوف).
- حائز على الجائزة الأولى في القصة بمسابقة الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عن قصة (كاهنة ديوان الوزارة) ١٩٩٥.
- حائز على جائزة القصة القصيرة في مسابقة اتحاد كتاب العرب/ دمشق عن قصته (تفاحة دلمون) عام ٢٠٠٧.
- حاز على الجائزة الثانية في مجال الرواية عن روايته (جنكيز خان) في مسابقة مجلة دبي الإبداعية الكبرى/ دار الصدى للصحافة والأعلام في دبي : ٢٠٠٧.
- حائز على جائزة العنقاء الذهبية في المجال القصصي عام ٢٠٠٧ التي يقدمها بيت القصة العراقي.
- حائز على جائزة أدب الرحلات لعام ٢٠١١ عن كتابه ابن بطوطة ناقة الجغرافية وأنوثة المدن.
- يكتب القصة والنقد الأدبي والشعر والمقالة السياسية ومهتم بالديانات القديمة والميثولوجيا السومرية.
- حدائق الغرام السومرية / قصص / اتحاد كتاب العرب / دمشق / ٢٠٠١.

صدر له منذ عام ٢٠٠٦:
- سياحة روحية في المندائية النقية / عن اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر / هولندا / ٢٠٠٦
- الأهوار طبيعة ساحرة / منشورات / وزارة الموارد المائية العراقية. عمان / ٢٠٠٦.
- فتاة حقل الرز / قصص / منشورات أور ـ ٢٠٠٠ / العراق / ٢٠٠٦.
- وردة بعطر الزقورة / شعر / دار نينوى / دمشق / ٢٠٠٧.
- الأهوار ـ قصة المكان والحضارة ـ سيناريو سينمائي / وزارة الموارد المائية العراقية / ٢٠٠٧.
- الميثولوجيا من نرام - سين إلى بول بريمر / مقالات ورؤى / دار نينوى / دمشق / ٢٠٠٧.
- اليوم الأخير في حياة الأمير ـ قصص ـ دار نينوى / دمشق/ ٢٠٠٧.
- طبوغرافيا المكان من أربيل إلى حاج عمران / دار نينوى / دمشق / ٢٠٠٧.
- جمهورية السيدة زينب / مقالات / دار نينوى ٢٠٠٧.
- النساء وعاطفة النبي يوسف / شعر / دار نينوى ٢٠٠٧.
- كتاب الرحلات (طنجة أور ــ ناقة أبن بطوطة وعكاز الخبز الحافي) / ٢٠٠٨/ منشورات أور / ٢٠٠٠.
- أنف الوردة. أنف كليوباترا / رواية / منشورات أور /٢٠٠٠/ ٢٠٠٨.
- عصافير الشارع المندائي / شعر / منشورات اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر / دمشق / ٢٠٠٨.
- رواية أنف كليوباترا أنف الوردة / دار نينوى للنشر: دمشق ٢٠١٠ / طبعة ثانية.
- حمام نساء في اور / دار فضاءات /عمان /٢٠١٠ /.
- كتاب الشعر باللغة الألمانية والعربية ملائكة في سماء زولنكن / دار نينوى دمشق / ٢٠١٠.

- موناليزا مندائية على جدران اللوفر / دار فضاءات للنشر والتوزيع / عمان ٢٠١٠.
- التأريخ الأسطوري لاحمر الشفاه / دار نينوى / دمشق / ٢٠١١.
- عراق رومي شنايدر / دار فضاءات /عمان ٢٠١١.
- موسيقى الجسد الألماني / شعر / دار نينوى / ٢٠١١.
ـ عدن جنة الفقراء / ألواح أثرية / دار نينوى / دمشق ٢٠١١.
- الأهوار من طوفان نوح حتى قهوة المضائف / طبعة ثانية / دار نينوى / دمشق ٢٠١١.
- جنكيز خان / رواية / طبعة ثانية في مشروع النشر المشترك بين دار نينوى ودار ميزوبوتاميا / ٢٠١١.
- الناصرية. مواويل أور وعكد الهوا. مشروع النشر المشترك بين دار نينوى في دمشق ودار ميزوبوتاميا في بغداد /٢٠١٢.
- غراميات شاكيرا وسلمان المنكوب / قصص / مشروع النشر المشترك بين دار نينوى في دمشق ودار ميزوبوتاميا في بغداد /٢٠١٢.
- بكاء مقابر الإنكليز في بابل / رواية / دار نينوى للطباعة والنشر / دمشق ٢٠١٢.
- سان جون بيرس وكافافيس قصيدة اللذة والمدائح والاساطير / دراسات / مشروع النشر المشترك بين دار نينوى في دمشق ودار ميزوبوتاميا في بغداد /٢٠١٢.
- كركوك. الليل التركماني وقناديل بابا كركر / رواية / مشروع النشر المشترك بين دار نينوى في دمشق ودار ميزوبوتاميا في بغداد /٢٠١٢.
- عبد الله بشراحيل صناعة الوردة من عطر مكة / دراسة جمالية / النشر المشترك بين دار نينوى في دمشق ودار ميزوبوتاميا في بغداد / ٢٠١٢.
- العلاج بشفاء الصوفية / شعر / دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق ٢٠١٢.
ـ المندائية ـ العراق بردائه الأبيض / وزارة الثقافة العراقية / مشروع بغداد عاصمة الثقافة / ٢٠١٣
ـ غابريل ماركيز يكتب عن مدينة سامراء / رؤى ومقالات / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٣.
ـ مدينة الجبايش / سياحة في مدن الاهوار / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٣
ـ الآلهة والجواميس في مديرية الأمن / رواية / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٤
ـ مدن حريم السلطان / رواية / دار نينوى للطباعة والنشر / دمشق ٢٠١٤.
ـ النشيد الأممي لمعدان باريس / قصص / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٤
ـ الفياغرا وشهية الجلوس مع باولو كوهلو / قصص / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٤
ـ روايات طفولتنا الهندية / رؤى ومذكرات / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٤
ـ الناصرية ، وجوه الأنبياء والفقراء / مذكرات / دار نينوى / دمشق ٢٠١٤
ـ معدان أثينا / رواية / دار الشؤون الثقافية العامة /بغداد ٢٠١٥
ـ طفولة وأنوثة وممثلة فرنسية / قصص / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٥
ـ المندائية / أعشاش النور والنجم المسحور/ نصوص روحانية / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٥
ـ أناشيد أزهار الحدائق وبابل / شعر / دار ميزوبوتاميا / بغداد ٢٠١٥
ـ مقطوعة مندائية من موزارت / نصوص روحانية / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٦
ـ نجم والي .حرب المعدان والألمان / دراسات / دار ميزوبوتاميا /بغداد ٢٠١٦
ـ برجيت باردو وغلاف مجلة / رواية / دار نينوى / دمشق ٢٠١٦
ـ المعدان .الحياة الروحية والسرية / قصص / دار نينوى / دمشق ٢٠١٦
ـ أحزان النبي السومري / قصص / دار نينوى / دمشق ٢٠١٦
ـ شامة على خد كافافيس / شعر / دار نينوى /دمشق ٢٠١٧.
ـ أدم ،حواء ـ وردتان تهبطان بمظلة / رواية / دار نينوى / دمشق ٢٠١٧
ـ وجوه في مرايا الناصرية ج ١/ مقالات / دار ميزوبوتاميا / بغداد ٢٠١٧
ـ ـ وجوه في مرايا الناصرية ج ١/ مقالات / دار ميزوبوتاميا / بغداد ٢٠١٧
ـ أمازيغ ليل الاهوار واوسلو / رواية / دار نينوى /دمشق ٢٠١٧.
- مدير تحرير مجلة الأهوار الفصلية الصادرة عن وزارة الموارد المائية العراقية ٢٠٠٥.

- يكتب عموداً يومياً في صحيفة الزمان ، وصحيفة الحقيقة ومقال كل اثنين وثلاثاء، وفي صحف القلعة التركمانية ، الناس، البينة الجديدة، وينشر مقالاته الأدبية في المجلد الثقافي ألف ياء. ويكتب مقالا ادبيا كل شهر في مجلة تاتو الصادرة عن دار المدى في بغداد. يكتب منذ عام عمودا يوميا في صحيفة العالم العراقية.
- ينشر قَصَصه في مجلات العراق والعالم العربي.
- يكتب مقالاته النقدية في موقع جهة الشعر، ويكتب نصوصه الشعرية والقَصَصية، ومقالاته في الكثير من المواقع الإلكترونية.
- عضو الاتحاد العامّ للكُتّاب العرب/عضو الاتحاد العامّ للأدباء والكتّاب العراقيين.
- عضو اتحاد الصحفيين العراقيين.
- يقيم في ألمانيا /

الفهـــرســـت:

عبد محمد (وردة الحرب و دمع العيون)
الشظية وكليوباترا
اشلاء محترقة تتزوج في ساحة مظفر
بريمر والبرحي* خلف السدة
الموناليزا وصحن القيمر
جنود الحظيرة ١٣٠ ملم
طشت سوق مريدي
أوكرانيات ساحة صباح الخياط
يوم جعلنا الورد جنكيزخان
مدينة الناصرية وفيدل كاسترو
سوق المغاربة في العشار عام ٢٤١٧
عطرٌ آخرَ لأسم الوردة
صحون القيمر الطائرة
سيرفانتس الذي سرق جلجامش
غراميات حمار جاك بريفير
ابن وردويه وغاتيان بيكون
الرحابنة يبكون كل صباح
زبيدة ثروة ميخائيل
الشظية في جيب البالطو
حسن بريسم وجنود قطاع ٥٢
عَجمُ مدينة الثورة
ماركيز وحسين حنطاوي